كلمات فى
الوسطية الإسلامية
ومعالمها

يوسف القرضاوى

دار الشروق

كلمات في
الوسطية الإسلامية
ومعالمها

الطبعة الثالثة ٢٠١١

رقم الإيداع ٢٠٠٨/٥٩١٨
ISBN 978 977-09-2348-1

٨ شارع سيبويه المصرى
مدينة نصر القاهرة مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧(٢٠٢) +
email: dar@shorouk. com
www. shorouk. com

يوسف القرضاوى

كلمات فى الوسطية الإسلامية ومعالمها

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

(أما بعد)

فإن مما يهلك الأمم وقوعها فى أحد طريقين: طريق الغلو، وطريق الانحلال.

والغلو يعنى: التشدد والتنطع والتعسير على عباد الله تعالى، وإيقاعهم فى الحرج والشدة، بتوسيع دائرة الواجبات والمحرمات عليهم، ورفض الرخص التى رخص الله لهم، ولهذا جاء فى الحديث: «إياكم والغلو فى الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين»، «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا.

ومثل الغلو: التسيب والانحلال والانفراط، بتضييع الأوامر والنواهى، واستحلال المحرمات، والتفريط فى الواجبات، وعدم الوقوف عند حدود الله.

والخير كل الخير فى المنهج الوسط، الذى يتجنب الإفراط والتفريط، أو الغلو والتقصير. وهو ما دعا إليه القرآن الكريم، والسنة النبوية، وحث عليه أمة الإسلام الراسخون فى العلم.

وهذا المنهج وحده ـ منهج الوسطية والاعتدال ـ هو حبل النجاة وسفينة الإنقاذ للأمة مما تعانيه من مآس ومشكلات.

ومن فضل الله علينا: أن وفقنا إلى هذا المنهج الأصيل، وثبتنا عليه. ومن فضله سبحانه: أن أصبح هذا النهج اليوم هو النهج الأول فى التوجيه والتأثير، بعد أن كان فى بعض الأزمان موضع الاتهام، والغمز.

وقد كتبت هذه الكلمات فى بيان هذا المفهوم أو المصطلح ، حتى لا يفسره كل من شاء بما شاء . وقد تفضل المركز العالمى للوسطية بالكويت بنشر طبعته الأولى . وها هى ذى دار الشروق تتولى هذه الطبعة لينتفع بها المسلمون فى آفاق الأرض . والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوى

مقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد، الذى أرسله الله رحمة للعالمين، ونعمة على المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنبياء: ١٠٧) وقال: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ (آل عمران: ١٦٤). ورضى الله عن آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فقد كان من نعمة الله تعالى علىّ: أن هدانى إلى تبنّى فكرة الوسطية، ومنهج الوسطية من قديم، وهو منهج تلاءم مع فطرتى وعقلى، وانسجم مع فهمى للإسلام من ينابيعه الصافية، كما تواءم مع منطق العصر، وحاجات الأمة فيه، وعلاقتها بغيرها من الأمم فى عصر تقارب الناس فيه حتى غدا العالم قرية واحدة. كما أنه المنهج الذى يعبر عن حقيقة الإسلام، وعن خيرية أمته ووسطيتها وشهودها الإيمانى والحضارى على الناس.

وقد نذرت لهذا المنهج نفسى وعمرى، وأعطيته فكرى ووجدانى، ودعوت إليه بلسانى وقلمى: إذا حاضرت أو خطبت، وإذا فقّهت أو أفتيت، وإذا علَّمت أو ربَّيت، فى كل آليات اتصالى بالناس: على المنبر فى المسجد، أو فى قاعة المحاضرة، أو فى حلبة التأليف، أو على شاشات الفضائيات، أو على الإنترنت.

وهذه صحائف كتبتها عن «الوسطية ومعالمها» راجيا أن يكون فيها بعض ما يعين على إشاعة هذا المفهوم وتصحيحه وتثبيته، بحيث تتجلى آثاره فى حياة المسلمين: فهما وعملا وسلوكا ودعوة.

وإنى لأدعو الله تعالى أن ييسر لى فرصة شرح هذه المعالم - التى بينتها اليوم - شرحا يرد فروعها إلى أصولها، ويصلها بأدلتها من الكتاب العزيز، والسنة المشرفة، كما يربطها بالواقع الذى نعيشه، وبالعصر الذى يفرض علينا نفسه. ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ (هود: ٨٨).

الدوحة فى: محرم ١٤٢٨هـ	الفقير إلى عفو ربه
ينايـر ٢٠٠٧ م	**يوسف القرضاوى**

مفهوم الوسطية

من قديم تعرضت لبيان مفهوم «الوسطية» وخصائصها ومظاهر تجليها، وذلك فى كتابى «الخصائص العامة للإسلام» باعتبار «الوسطية» من أبرز خصائص الإسلام، ويُعبَّر عنها أيضا بـ «التوازن» أو «الاعتدال»، ونعنى بها: التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه.

مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الربانية والإنسانية، الروحية والمادية، الأخروية والدنيوية، الوحى والعقل، الماضوية والمستقبلية، الفردية والجماعية، الواقعية والمثالية، الثبات والتغير، وما شابهها.

ومعنى التوازن بينها: أن يُفسح لكل طرف منها مجاله، ويُعطى حقه ﴿ **بِالْقِسْطِ** ﴾ أو ﴿ **بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ** ﴾ (الإسراء: ٣٥، الشعراء: ١٨٢)، بلا وكْس ولا شطط، ولا غلو ولا تقصير، ولا طغيان ولا إخسار. كما أشار إلى ذلك كتاب الله بقوله: ﴿ **وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ** ﴾ (الرحمن: ٧-٩). فالوسطية هى التى تقيم الوزن بالقسط، بلا طغيان ولا إخسار.

عجز الإنسان عن إنشاء نظام متوازن

وهذا التوازن العادل فى الحقيقة أكبر من أن يَقْدر عليه الإنسان؛ بعقله المحدود،

وعلمه القاصر، فضلا عن تأثير ميوله، ونزعاته الشخصية، والأُسرية والحزبية، والإقليمية والعنصرية، وغلبتها عليه من حيث يشعر أو لا يشعر.

ولهذا لا يخلو منهج أو نظام يضعه بشر ـ فرد أو جماعة ـ من الإفراط أو التفريط، كما يدل على ذلك استقراء الواقع وقراءة التاريخ.

إن القادر على إعطاء كل شيء في الوجود ـ ماديا كان أو معنويا ـ حقه بحساب وميزان، هو الله؛ الذى خلق كل شىء فقدَّره تقديرا، وأحاط بكل شىء خُبْرا، وأحصى كل شىء عَدَدا، ووسع كل شىء رحمة وعلْما.

ولا عجب أن نرى هذا التوازن الدقيق فى خلق الله، وفى أمر الله جميعا، فهو صاحب الخلق والأمر، فظاهرة التوازن، تبدو فيما أمر الله به وشرعه من الهُدى ودين الحق، أي: فى نظام الإسلام ومنهجه للحياة، كما تبدو فى هذا الكون الذى أبدعته يد الله فأتقنت فيه كل شىء.

ظاهرة التوازن فى الكون كله

ننظر فى هذا العالم من حولنا فنجد الليل والنهار، والظلام والنور، والحرارة والبرودة، والماء واليابس، والغازات المختلفة، كلها بقَدَر وميزان وحساب، لا يطغى شىء منها على مقابله، ولا يخرج عن حدِّه المُقدَّر له.

وكذلك الشمس والقمر والنجوم والمجموعات الكونية فى فضاء الله الفسيح، إن كلاً منها يسبح فى مداره، ويدور فى فلكه، دون أن يصدم غيره، أو يخرج عن دائرته. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ (القمر: ٤٩)، ﴿**مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾ (الملك: ٣)، ﴿**لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ (يس: ٤٠).

والإسلام يريد من الأمة المسلمة: أن تعكس ظاهرة التوازن الكونية فى حياتها وفكرها وسلوكها، فتتميز بذلك عن سائر الأمم.

وإلى هذه الخصيصة البارزة يشير قوله تعالى مخاطبا أمة الإسلام: ﴿**وَكَذَٰلِكَ**

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

ووسطية الأمة الإسلامية إنما هى مُستمدَّة من وسطية منهجها ونظامها، فهو منهج وسط لأمة وسط. منهج الاعتدال والتوازن الذى سَلِم من الإفراط والتفريط، أو من الغلو والتقصير.

من مزايا الوسطية وفوائدها

ولقد كان من حكمة الله تعالى أن اختار الوسطية شعاراً مميزاً لهذه الأمة التى هى آخر الأمم، ولهذه الرسالة التى ختم بها الرسالات الإلهية، وبعث بها خاتم أنبيائه، رسولاً للناس جميعًا، ورحمة للعالمين.

الوسطية أليق بالرسالة الخالدة

فقد يجوز فى رسالة مرحلية محدودة الزمان والإطار: أن تعالج التطرف فى قضية ما بتطرف مضاد، فإذا كان هناك مبالغة فى الدعوة إلى الواقعية قوِّمت بمبالغة مقابلة فى الدعوة إلى المثالية. وإذا كان هناك غلو فى النزعة المادية، رُدَّ عليها بغلو معاكس فى النزعة إلى الروحية، كما رأينا ذلك فى الديانة المسيحية وموقفها من النزعة المادية الواقعية عند اليهود والرومان، فإذا أدَّت الدعوة المرحلية دورها الموقوت، وحَدَّتْ من الغلو، ولو بغلو مثله، كان لا بد من العودة إلى الحد الوسط، وإلى الصراط السوى، فتعتدل كفتا الميزان. وهذا ما جاءت به رسالة الإسلام بوصفها رسالة عالمية خالدة.

على أن فى الوسطية معانىَ أخرى تميز منهج الإسلام وأمة الإسلام وتجعلها أهلاً للسيادة والخلود.

أ ـ الوسطية تعنى العدل

فمن معانى الوسطية التى وُصفت بها هذه الأمة فى الآية الكريمة ورُتبت عليها شهادتها على البشرية كلها : العدل ، الذى هو ضرورة لقَبول شهادة الشاهد ، فما لم يكن عدلاً ، فإن شهادته مرفوضة مردودة ، أما الشاهد العدل والحكم العدل فهو المرضى بين الناس كافة .

وتفسير الوسط فى الآية بالعدل ثابت عن النبى ﷺ فقد روى الإمام أحمد والبخارى عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ فسر الوسط هنا بالعدل[(١)] ، والعدل والتوسط والتوازن عبارات متقاربة المعنى ، فالعدل فى الحقيقة توسط بين الطرفين المتنازعين أو الأطراف المتنازعة دون ميل أو تحيز إلى أحدهما أو أحدها . وهو بعبارة أخرى : موازنة بين هذه الأطراف بحيث يعطَى كل منها حقه دون بخس ولا جَوْر عليه . ولا محاباة له ، ومن ثم قال زهير فى المدح :

همو وسط يرضى الأنام بحكمهم … إذا نزلت إحدى الليالى العظائم

يصفهم بالعدل والقسط وعدم التحيُّز .

وقال المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ **قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ** ﴾ (القلم : ٢٨) ، أى : أعدلهم[(٢)] . يؤكد هذا الإمام الرازى فى تفسيره بقوله : إن أعدل بقاع الشىء وسطه ، لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء ، وعلى اعتدال[(٣)] .

ويقول المفسر أبو السعود : الوسط فى الأصل اسم لما تستوى نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة ، ثم استعير للخصال البشرية المحمودة ، لكون تلك الخصال أوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرق الإفراط والتفريط[(٤)] .

(١) رواه البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٣٣٩) ، وأحمد فى المسند (١١٢٧١) ، والترمذى فى تفسير القرآن (٢٩٦١) ، عن أبى سعيد الخدرى .

(٢) انظر : تفسير الطبرى (١٢/ ١٩٣) ، وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٢١) ، وتفسير القرطبى (٢/ ١٤٨) .

(٣) انظر تفسير الفخر الرازى (٤/ ١٠٨ ، ١٠٩) المطبعة المصرية ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) .

(٤) تفسير أبى السعود (١/ ١٢٣) طبعة صبيح .

فالوسط يعنى إذن العدل والاعتدال. وبعبارة أخرى: يعنى التعادل والتوازن، بلا جنوح إلى الغلو ولا إلى التقصير.

ب ـ الوسطية تعنى الاستقامة

والوسطية تعنى كذلك: استقامة المنهج، والبعد عن الميل والانحراف. فالمنهج المستقيم، وبتعبير القرآن: ﴿**الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ هو ـ كما عبَّر أحد المفسرين ـ الطريق السوى الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب. فإذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين، فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع فى وسط تلك الخطوط المنحنية. ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة: أن تكون الأمة المهدية إليه وسطا بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة[1].

ومن هنا علَّم الإسلام المسلم أن يسأل الله الهداية للصراط المستقيم كل يوم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة، هى عدد ركعات الصلوات الخمس المفروضة فى اليوم والليلة. وذلك حين يقرأ فاتحة الكتاب فى صلاته فيقول داعيا ربه: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾ (الفاتحة: ٦، ٧).

والإسلام وحده ينفرد بهذه المزية «الوسطية» دون غيره من الملل. جاء فى التفسير المأثور التمثيل للمغضوب عليهم باليهود، وللضالين بالنصارى[2]، والمعنى فى ذلك: أن كلا من اليهود والنصارى يمثلون الإفراط والتفريط فى كثير من القضايا، فاليهود قتلوا الأنبياء، والنصارى ألَّهوهم . . . اليهود أسرفوا فى التحريم، والنصارى أسرفوا فى التحليل، حتى قالوا: كل شىء طيب للطيبين . . . اليهود غلوا فى الجانب المادى، والنصارى قصروا فيه . . . اليهود تطرفوا فى اعتبار الرسوم فى الشعائر والتعبدات، والنصارى تطرفوا فى إلغائها.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) رواه أحمد فى المسند (٢٠٣٥١)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير صحابيه، ولا تضر جهالته، وأبو يعلى فى المسند (١٣/ ١٠١)، والبيهقى فى الشعب (٤/ ٦١)، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى وإسناده صحيح (١/ ٢٠٦).

والإسلام يُعلِّم المسلم أن يحذر من تطرف كلا الفريقين، وأن يلتزم المنهج الوسط، أو الصراط المستقيم، الذى سار عليه كل من رضى الله عنهم، وأنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

جـ- الوسطية دليل الخيرية

والوسطية كذلك دليل الخيرية، ومظهر الفضل والتميّز، فى الماديات والمعنويات. ففى الأمور المادية نرى أفضل حبات العقد واسطته، ونرى رئيس القوم فى الوسط والأتباع من حوله . . . وفى الأمور المعنوية نجد التوسط دائما خيرا من التطرف.

ولهذا قال العرب فى حكَمهم: «خير الأمور الوسط»، وقال أرسطو: «الفضيلة وسط بين رذيلتين». ومنَ هنا قال ابن كثير فى قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: ١٤٣). الوسط ههنا: الخيار والأجود. كما يقال: قريش أوسط العرب نسبا ودارا، أى خيرها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا فى قومه، أى: أشرفهم نسبا. ومنه: الصلاة الوسطى، التى هى أفضل الصلوات[١].

د- الوسطية تمثل الأمان

كما أن الوسطية تمثل منطقة الأمان والبعد عن الخطر، فالأطراف عادة تتعرض للخطر والفساد أكثر من غيرها، بخلاف الوسط، فهو محمى ومحروس بما حوله، وفى هذا قال الشاعر:

كانتْ هى الوسَط الـمَحمىَّ فاكْتَنَفَتْ بها الحوادث حتى أصبحتْ طَرَفَا

وكذلك شأن النظام الوسط، والمنهج الوسط، والأمة الوسط.

هـ- الوسطية دليل القوة

والوسطية أيضا دليل القوة. فالوسط هو مركز القوة. . ألا ترى الشباب الذى

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٩٠).

يمثل مرحلة القوة وسطا بين ضعفين : ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة؟! والشمس فى وسط النهار أقوى منها فى أول النهار وآخره؟!

و ـ الوسطية مركز الوحدة

الوسطية تمثل مركز الوحدة ونقطة التلاقى . . . فعلى حين تتعدد الأطراف تعددا قد لا يتناهى ، يبقى الوسط واحدا ، يمكن لكل الأطراف أن تلتقى عنده ؛ فهو المنتصف ، وهو المركز . وهذا واضح فى الجانب المادى والجانب الفكرى والمعنوى على سواء .

ومركز الدائرة فى وسطها يمكن لكل الخطوط الآتية من المحيط أن تلتقى عنده ، والفكرة الوسط يمكن أن تلتقى بها الأفكار المتطرفة فى نقطة ما ؛ هى نقطة التوازن والاعتدال . كما أن التعدد والاختلاف الفكرى يكون حتميّا كلما وجد التطرف ، وتكون حدته وشدته بقدر حدة هذا التطرف . أما التوسط والاعتدال فهو طريق الوحدة الفكرية ومركزها ومنبعها . ولهذا تثير المذاهب والأفكار المتطرفة من الفرقة والخلاف بين أبناء الأمة الواحدة ما لا تثيره المذاهب المعتدلة فى العادة .

لهذه المزايا والفوائد التى ذكرناها للوسطية : حرص الإسلام على أن تكون إحدى خصائصه العامة ، وأن تتجلى فى كل مقوماته بوضوح ، كما يتبين لنا ذلك فى الصفحات التالية .

مظاهر الوسطية فى الإسلام

وإذا كان للوسطية كل هذه المزايا، فلا عجب أن تتجلى واضحة فى كل جوانب الإسلام، نظرية وعملية، تربوية وتشريعية.

فالإسلام وسط فى الاعتقاد والتصور . . . وسط فى التعبد والتنسك . . . وسط فى الأخلاق والآداب . . . وسط فى التشريع والنظام.

أ- وسطية الإسلام فى الاعتقاد

١- فهو وسط فى الاعتقاد: بين الخرافيين الذين يسرفون فى الاعتقاد؛ فيصدقون بكل شىء، ويؤمنون بغير برهان، وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس، ولا يستمعون لصوت الفطرة، ولا نداء العقل، ولا صراخ المعجزة.

فالإسلام يدعو إلى الاعتقاد والإيمان، ولكن بما قام عليه الدليل القطعى، والبرهان اليقينى، وما عدا ذلك يرفضه ويعدُّه من الأوهام، وشعاره دائمًا: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (البقرة: ١١١).

٢- وهو وسط بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بإله قط، خانقين صوت الفطرة فى صدورهم، مُتحدِّين منطق العقل فى رؤوسهم . . . وبين الذين يعددون الآلهة، حتى عبدوا الأبقار، وألَّهوا الأوثان والأحجار!

فالإسلام يدعو إلى الإيمان بإله واحد لا شريك له، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وكل من عداه وما عداه: مخلوقات لا تملك ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا

ولا حياة ولا نشورًا؛ فتأليهها شرك وظلم وضلال مبين: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ** ﴾ (الأحقاف: ٥).

٣ ـ وهو وسط بين الذين يعتبرون الكون هو الوجود الحق وحده، وما عداه ـ مما لا تراه العين ولا تلمسه اليد ـ خرافة ووهم، وهم الماديون الذين ينكرون كل ما وراء الحس، وبين الذين يعتبرون الكون وهمًا لا حقيقة له، وسرابًا ﴿ **بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا** ﴾ (النور: ٣٩). فليس هناك إلا وجود واحد هو الله، ولا شيء غيره. وهم القائلون بوحدة الوجود.

فالإسلام يعتبر وجود الكون حقيقة لا ريب فيها، ولكنه يَعبُر من هذه الحقيقة إلى حقيقة أكبر منها، وهي مَن كوَّنه ونظَّمه ودبَّر أمره. وهو الله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً** ﴾ (آل عمران: ١٩٠، ١٩١).

٤ ـ وهو وسط بين الذين يؤلِّهون الإنسان، ويُضفُون عليه خصائص الربوبية، ويعتبرونه إله نفسه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وبين الذين جعلوه أسير جبرية اقتصادية أو اجتماعية أو دينية؛ فهو كريشة فى مهب الريح، أو دُمية يحرك خيوطها المجتمع، أو الاقتصاد أو القدر.

فالإنسان فى نظر الإسلام مخلوق مكلَّف مسؤول، سيد فى الكون، عبد لله، قادر على تغيير ما حوله بقدر ما يُغيِّر ما بنفسه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ (الرعد: ١١).

٥ ـ وهو وسط بين الذين يقدسون الأنبياء حتى رفعوهم إلى مرتبة الألوهية أو البنوة للإله . . . وبين الذين كذبوهم واتهموهم، وصبوا عليهم كؤوس العذاب.

فالأنبياء بشر مثلنا، يأكلون الطعام، ويمشون فى الأسواق، ولكثير منهم أزواج

وذرية، وكل ما بينهم وبين غيرهم من فرق: أن الله مَنَّ عليهم بالوحى، وأيَّدهم بالمعجزات: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (إبراهيم: ١١).

٦ ـ وهو وسط بين الذين يؤمنون بالعقل وحده مصدرًا لمعرفة حقائق الوجود، وبين الذين لا يؤمنون إلا بالوحى والإلهام، ولا يعترفون للعقل بدور فى نفى أو إثبات.

فالإسلام يؤمن بالعقل، ويدعوه للنظر والتفكر، وينكر عليه الجمود والتقليد، ويخاطبه بالأوامر والنواهى، ويكلفه فهمها والاستنباط منها، ويعتمد عليه فى إثبات أعظم حقيقتين فى الوجود، وهما: وجود الله تعالى[1]، وصدق دعوى النبوة، ولكنه يؤمن بالوحى مكملا للعقل ومعينا له فيما تضل فيه العقول وتختلف، وما تغلب عليه الأهواء، وهاديا له إلى ما ليس من اختصاصه ولا هو فى مقدوره، من الغيبيات والسمعيات وطرائق التعبد لله.

ب ـ وسطية الإسلام فى العبادات والشعائر

والإسلام وسط فى عباداته، وشعائره: بين الأديان والنِّحَل التى ألغت الجانب «الربانى» ـ جانب العبادة والتنسك والتأله ـ من فلسفتها وواجباتها، كالبوذية التى اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقى الإنسانى وحده . . . وبين الأديان والنِّحل التى طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والإنتاج، كالرهبانية المسيحية.

فالإسلام يطلب من المسلم أداء شعائر محدودة فى اليوم كالصلاة، أو فى السنة كالصوم، أو فى العمر مرة كالحج، ليظلَّ دائما موصولا بالله، غير مقطوع عن رضاه، ثم يطلقه بعد ذلك ساعيا منتجا، يمشى فى مناكب الأرض، ويأكل من رزق الله.

(١) هذه الحقيقة الأولى والكبرى لم تثبت بطريق الوحى إلى رسول، فإن الوحى والرسالة فرع عن ثبوت المُوحى والمُرسل وهو الله، وإنما ثبتت هذه الحقيقة بضرورة العقل، وغريزة الفطرة معا. ولكن فى مواجهة المنكرين لَا تثبت إلا بالعقل.

ولعل أوضح دليل نذكره هنا: الآيات الآمرة بصلاة الجمعة: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الجمعة: ٩، ١٠).

فهذا هو شأن المسلم مع الدين والحياة، حتى فى يوم الجمعة: بيع وعمل للدنيا قبل الصلاة، ثم سعى إلى ذكر الله وإلى الصلاة، وترك للبيع والشراء وما أشبهه من مشاغل الحياة، ثم انتشار فى الأرض وابتغاء الرزق من جديد بعد انقضاء الصلاة، مع عدم الغفلة عن ذكر الله كثيرا فى كل حال، فهو أساس الفلاح والنجاح.

جـ ـ وسطية الإسلام فى الأخلاق

١ـ والإسلام وسط فى الأخلاق: بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملاكا أو شبه ملاك، فوضعوا له من القيم والآداب ما لا يمكن له، وبين غُلاة الواقعيين الذين حسبوه حيوانا أو كالحيوان، فأرادوا له من السلوك ما لا يليق به، فأولئك أحسنوا الظن بالفطرة الإنسانية فاعتبروها خيرا محضا، وهؤلاء أساءوا بها الظن، فعدُّوها شرا خالصا، وكانت نظرة الإسلام وسطا بين أولئك وهؤلاء.

فالإنسان فى نظر الإسلام مخلوق مُركب: فيه العقل، وفيه الشهوة. فيه غريزة الحيوان، وروحانية الملاك. قد هدى للنجدين، وتهيأ بفطرته لسلوك السبيلين، إما شاكرا وإما كفورا. فيه استعداد للفجور، استعدادَه للتقوى. ومهمته جهاد نفسه ورياضتها حتى تتزكى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (الشمس: ٧ـ١٠).

٢ـ وهو كذلك وسط فى نظرته إلى حقيقةالإنسان: بين النِّحَل والمذاهب التى تقوم على اعتباره روحا علويا سُجن فى جسد أرضى، ولا يصفو هذا الروح ولا يسمو إلا بتعذيب هذا الجسد وحرمانه، كالبرهمية وغيرها . . . وبين المذاهب

المادية التى تعتبر الإنسان جسدا محضا، وكيانا ماديا صرفا، لا يسكنه روح علوى، ولا يختص بأى نفحة سماوية.

أما الإنسان فى الإسلام، فهو كيان روحى ومادى، كما يشير إلى ذلك خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام، فقد خلقه الله من تراب أو طين أو صلصال، وكلها تومئ إلى الأصل المادى لبدن الإنسان، ثم أودع الله فى هذه المادة شيئا آخر، هو سر تميز الإنسان، ومنبع كرامته، وفيه يقول للملائكة: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ (الحجر: ٢٩).

وما دام الإنسان مُؤَلَّفا من قبضة الطين ونفخة الروح، أو بلفظ أخصر: من الروح والبدن، فإن لروحه عليه حقا، ولبدنه عليه حقا، وعليه أن يعطى كل ذى حق حقه.

٣ـ والإسلام وسط فى النظرة إلى الحياة بين الذين أنكروا الآخرة، واعتبروا هذه الحياة الدنيا هى كل شىء، هى البداية والنهاية: ﴿ **وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** ﴾ (الأنعام: ٢٩)، وبهذا غرقوا فى الشهوات، وعبّدوا أنفسهم للماديات، ولم يعرفوا لهم هدفا يركضون وراءه غير المنافع الفردية الدنيوية العاجلة . . . وهذا شأن الماديين فى كل زمان ومكان . . وبين الذين رفضوا هذا الحياة، وألغوا اعتبارها من وجودهم، واعتبروها شرا يجب مقاومته، والفرار منه، فحرَّموا على أنفسهم طيباتها وزينتها، وفرضوا عليها العزلة عن أهلها، والانقطاع عن عمارتها والإنتاج لها.

فالإسلام يعتبر الحياتين، ويجمع بين الحسنتين، ويجعل الدنيا مزرعة للآخرة، ويرى العمل فى عمارتها عبادة لله، وأداء لرسالة الإنسان، وينكر على غُلاة المتدينين تحريم الزينة والطيبات، كما ينكر على الآخرين انهماكهم فى الترف والشهوات، يقول الله تعالى فى كتابه: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** ﴾ (محمد: ١٢)، ويقول تعالى: ﴿ **يَبَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ**

﴿زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (الأعراف: ٣١،٣٢). ويذكر القرآن أن السعادة والحياة الطيبة فى الدنيا من مثوبة الله لعباده المؤمنين فيقول: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٨)، ويعلم المؤمنين هذا الدعاء القرآنى الجامع لحسنتى الدارين: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١).

وكذلك الدعاء النبوى: «اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى، وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير، والموت راحة لى من كل شر»[1].

د ـ وسطية الإسلام فى التشريع

والإسلام وسط كذلك فى تشريعه ونظامه القانونى والاجتماعى. فهو وسط فى التحليل والتحريم بين اليهودية التى أسرفت فى التحريم، وكثرت فيها المُحرَّمات، مما حرَّمه إسرائيل على نفسه، ومما حرَّمه الله على اليهود، جزاء بغيهم وظلمهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ (النساء: ١٦٠، ١٦١).

وبين المسيحية التى أسرفت فى الإباحة، حتى أحلَّت الأشياء المنصوص على تحريمها فى التوراة، مع أن الإنجيل يعلن أن المسيح لم يجئ لينقض ناموس التوراة، بل ليكمله[2] ومع هذا أعلن رجال المسيحية أن كل شىء طاهر للطاهرين[3].

فالإسلام قد أحلَّ وحرَّم، ولكنه لم يجعل التحليل ولا التحريم من حق بشر، بل من حق الله وحده، ولم يُحرِّم إلا الخبيث الضار، كما لم يُحل إلا الطيب النافع، ولهذا كان من أوصاف الرسول عند أهل الكتاب أنه: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ

---

(١) رواه مسلم فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٢٠) عن أبى هريرة.

(٢) إنجيل متى (٥/ ١٧).

(٣) رسالة بولس إلى تيطس (١/ ١٥).

عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

والتشريع الإسلامى وسط فى شؤون الأسرة، كما هو وسط فى شؤونه كلها، وسط بين الذين شرعوا تعدد الزوجات بغير عدد ولا قيد، وبين الذين رفضوه وأنكروه ولو اقتضته المصلحة وفرضته الضرورة والحاجة.

فقد شرع الإسلام الزواج بشرط القدرة على الإحصان والإنفاق، والثقة بالعدل بين الزوجتين، فإن خاف ألا يعدل، لزمه الاقتصار على واحدة، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ (النساء: ٣).

وهو وسط فى الطلاق بين الذين حرَّموا الطلاق، لأى سبب كان، ولو استحالت الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، كالكاثوليك، وقريب منهم الذين حرموه إلا لعلة الزنا والخيانة الزوجية كالأرثوذكس . . . وبين الذين أرْخَوا العنان فى أمر الطلاق، فلم يقيدوه بقيد، أو شرط، فمن طلب الطلاق من امرأة أو رَجل، كان أمره بيده، وبذلك سهل هدم الحياة الزوجية بأوهى سبب، وأصبح هذا الميثاق الغليظ أوهى من بيت العنكبوت.

إنما شرع الإسلام الطلاق، عندما تفشل كل وسائل العلاج الأخرى، ولا يجدى تحكيم ولا إصلاح، ومع هذا فهو أبغض الحلال إلى الله، ويستطيع المُطلِّق مرة ومرة أن يراجع مطلقته ويعيدها إلى حظيرة الزوجية من جديد. كما قال تعالى: ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

والإسلام وسط فى تشريعه ونظامه الاجتماعى بين «الليبراليين» أو «الرأسماليين» الذين يُدلِّلون الفرد على حساب المجتمع، بكثرة ما يعطى له من حقوق يطالب بها، وقلة ما يفرض عليه من واجبات يسأل عنها، فهو دائما يقول: «لى . . .»، وقلما يقول: «علىَّ . . .»، وبين الماركسيين والجماعيين الذين يضخمون دور المجتمع، بالضغط على الفرد، والتقليل من حقوقه، والحجر على حريته، ومصادرة نوازعه الذاتية.

هـ - التوازن بين الفردية والجماعية

وفى النظام الإسلامى تلتقى الفردية والجماعية فى صورة متزنة رائعة، تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجماعة، وتتكافأ فيها الحقوق والواجبات، وتتوزع فيها المغانم والتبعات بالقسطاس المستقيم.

لقد تخبطت الفلسفات والمذاهب من قديم، فى قضية الفرد والمجتمع والعلاقة بينهما: هل الفرد هو الأصل والمجتمع طارئ مفروض عليه؛ لأن المجتمع إنما يتكون من الأفراد؟ أو المجتمع هو الأساس والفرد نافلة؛ لأن الفرد بدون المجتمع مادة غفل (خام)، والمجتمع هو الذى يشكلها ويعطيها صورتها؛ فالمجتمع هو الذى يورث الفرد ثقافته وآدابه وعاداته وغير ذلك؟

من الناس مَن جنح إلى هذا، ومنهم مَن مال إلى ذلك، واحتد الخلاف بين الفلاسفة والمشرعين والاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين فى هذه القضية، فلم يصلوا إلى نتيجة.

كان «أرسطو» يؤمن بفردية الإنسان، ويحبِّذ النظام الذى يقوم على الفردية، وكان أستاذه «أفلاطون» يؤمن بالجماعية - «الاشتراكية» - كما يتضح ذلك فى كتابه «الجمهورية».

وبهذا لم تستطع الفلسفة الإغريقية - (أشهر الفلسفات البشرية القديمة) - أن تَحلَّ هذه العقدة، وأن تخرج الناس من هذه الحَيْرة، كشأن الفلسفة دائما فى كل القضايا الكبيرة، تعطى الرأى وضده، ولا يكاد أقطابها يتفقون على حقيقة، حتى قال أحد أساتذتها: الفلسفة لا رأى لها!! لأنها تقول الشىء ونقيضه!!

وفى فارس ظهر مذهبان متناقضان: أحدهما فردى ويدعو إلى التقشُّف والزهد، والامتناع عن الزواج، ليعجِّل الإنسان بفناء العالم، الذى يعُجُّ بالشرور والآلام، وهذا هو مذهب «مانى» ويمثل أقصى الفردية.

وقام فى مقابله مذهب آخر يمثل أقصى «الجماعية» هو مذهب «مزدك» الذى دعا

إلى شيوعية الأموال والنساء، وتبعه كثير من الغوغاء، الذين عاثوا فى الأرض فسادا، وضجَّت منهم البلاد والعباد.

وقد جاءت الأديان السماوية لتقيم التوازن في الحياة، والقسط بين الناس، كما قرَّر ذلك القرآن الكريم، ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾ (الحديد: ٢٥)، ولكن أتباعها سرعان ما حرَّفوها وبدَّلوا كلمات الله، ففقدت بذلك كثيرا من وظيفتها في الحياة، حين فقدت ميزتها الأولى وهى: ربانية المصدر. وتركت لرجال كهنوتها يُحلّون لها ويُحرّمون عليها دون إذن من الله تعالى: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ (التوبة: ٣١).

لهذا، لم تقدم الأديان السابقة قبل الإسلام حلا لهذه المشكلة، فقد كان اليهود الذين تفرقوا فى الأرض يؤيدون الفردية، بل الفردية الطاغية، بتفكيرهم وسلوكهم القائم على الأنانية والعزلة عن المجتمعات: ﴿ **وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ** ﴾ (النساء: ١٦١)، كما سجَّل عليهم القرآن العزيز.

وجاءت المسيحية أيضا تهتم بنجاة الفرد قبل كل شيء، تاركة شأن المجتمع لقيصر، أو على الأقل[١]، هذا ما يفهم من ظاهر ما يحكيه الإنجيل عن المسيح، حين قال: أعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله[٢]!!

وإذا طوينا كتاب التاريخ وتأملنا صفحات الواقع، فماذا نرى؟

إن عالمنا اليوم يقوم فيه صراع ضخم بين المذهب الفردى، والمذهب الجماعى. فالرأسمالية تقوم على تقديس الفردية، واعتبار الفرد هو المحور الأساسى، فهى تدلِّله بإعطاء الحقوق الكثيرة، التى تكاد تكون مطلقة، فله حرية التملك، وحرية القول، وحرية التصرف، وحرية التمتع، ولو أدت هذه الحريات إلى إضرار نفسه،

---

(١) انظر: محاضرة الدكتور السلجوقى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» ضمن الموسم الثقافى الأول للإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر.

(٢) إنجيل لوقا (٢٠/ ٢٥)، ومتى (٢٢/ ٢١).

وإضرار غيره، مادام يستعمل حقه فى «الحرية الشخصية»، فهو يتملك المال بالاحتكار والحيل والربا، وينفقه فى اللهو والخمر والفجور، ويمسكه عن الفقراء والمساكين والمُعْوِزين، ولا سلطان لأحد عليه، لأنه «هو حر!».

والمذاهب الاشتراكية ـ وبخاصة المتطرفة منها كالماركسية ـ تقوم على الحط من قيمة الفرد والتقليل من حقوقه، والإكثار من واجباته، واعتبار المجتمع هو الغاية، وهو الأصل. وما الأفراد إلا أجزاء أو تروس صغيرة فى تلك «الآلة» الجبارة، التى هى المجتمع، والمجتمع فى الحقيقة هو الدولة، والدولة فى الحقيقة هى الحزب الحاكم، وإن شئت قلت: هى اللجنة العليا للحزب، وربما كانت هى زعيم الحزب فحسب، هى الدكتاتور!!

إن الفرد ليس له حق التملك إلا فى بعض الأمتعة، والمنقولات، وليس له حق المعارضة، ولا حق التوجيه لسياسة بلده وأمته، وإذا حدَّثته نفسه بالنقد العلنى أو الخفى، فإن السجون والمنافى وحبال المشانق له بالمرصاد!

ذلك هو شأن فلسفات البشر ومذاهب البشر، والديانات التى حرَّفها البشر، وموقفها من الفردية والجماعية، فماذا كان موقف الإسلام؟

لقد كان موقفه فريدا حقا، لم يَمِل مع هؤلاء ولا هؤلاء، ولم يتطرف إلى اليمين ولا إلى اليسار.

إن شارع هذا الإسلام هو خالق هذا الإنسان؛ فمن المحال أن يشرع هذا الخالق من الأحكام والنظم ما يعطل فطرة الإنسان أو يصادمها. وقد خلقه سبحانه على طبيعة مزدوجة: فردية واجتماعية فى آن واحد. فالفردية جزء أصيل فى كيانه، ولهذا يحب ذاته، ويميل إلى إثباتها وإبرازها ويرغب فى الاستقلال بشؤونه الخاصة.

ومع هذا نرى فيه نزعة فطرية إلى الاجتماع بغيره، ولهذا عُدَّ السجن الانفرادى عقوبة قاسية للإنسان، ولو كان يتمتع داخله بما لذ وطاب من الطعام والشراب.

ولهذا قال الحكماء من قديم: الإنسان مدنى بطبعه، وقال فلاسفة الاجتماع المحدثون: الإنسان حيوان اجتماعى.

والنظام الصالح هو الذى يراعى هذين الجانبين فى حياة البشر: الفردية والجماعية، ولا يُطغى أحدهما على الآخر. فلا عجب أن جاء الإسلام ـ وهو دين الفطرة ـ نظاما وسطا عدلا، لا يجور على الفرد لحساب المجتمع، ولا يحيف على المجتمع من أجل الفرد، لا يُدلِّل الفرد بكثرة الحقوق التى تمنح له، ولا يُرهقه بكثرة الواجبات التى تُلقى عليه، وإنما يكلفه من الواجبات فى حدود وُسْعه، دون حرج ولا إعنات، ويقرر له من الحقوق ما يكافئ واجباته، ويلبى حاجته، ويحفظ كرامته، ويصون إنسانيته.

ولذلك تطبيقات كثيرة، وأحكام شتّى، تمثل هذا التوازن، أو هذه الوسطية: فى حياة الفرد، وفى حياة الأسرة، وفى حياة المجتمع، وفى حياة الأمة، وفى حياة الدولة، وفى العلاقات الدولية والإنسانية بصفة عامة. لا يتسع المجال لإيرادها هنا. فلتراجع فى مظانّها[1].

---

(١) انظر: كتابنا «الخصائص العامة للإسلام» فصل: «الوسطية» ص ١٢٥.

صلتى بالوسطية

تركيزى على الوسطية من قديم

لقد أكرمنى الله تعالى بتبنى تيار الوسطية، ومنهج الوسطية من قديم، ولم يكن ذلك اعتباطا، ولا تقليدا لأحد، أو اتباعا لهوى، ولكن لما قام عندى من الدلائل الناصعة، والبراهين القاطعة على أن هذا المنهج هو الذى يُعبِّر عن حقيقة الإسلام. لا أعنى إسلام بلد من البلدان، ولا فرقة من الفرق، ولا مذهب من المذاهب، ولا جماعة من الجماعات، ولا عصر من العصور.

بل عنيت به «الإسلام الأول» قبل أن تشوبه الشوائب، وتلحق به الزوائد والمبتدعات، وتُكدِّر صفاءه الخلافات المفرِّقة للأمة، ويصيبه رذاذٌ من نِحل الأمم التى دخلت فيه، وتلتصق به أفكار دخيلة عليه، وثقافات غريبة عنه.

أعنى بهذا الإسلام الأول: إسلام القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة.. الإسلام الذى دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بما أوحى إليه من ربه، وبما بيَّنه بقوله وفعله وتقريره وسيرته. إسلام أصحاب رسول الله، الذين تتلمذوا على يديه، وشاهدوا أسباب نزول القرآن، وورود الأحاديث، وكان لديهم من صفاء الفطرة، وصدق الإيمان، وتذوق اللغة: ما أعانهم على حسن فَهم هذا الدين، الذى أخذوه بقوة من مُعلِّمه الأول، وطبقوه على حياتهم تطبيقا دقيقا.

هؤلاء الصحابة، الذى أثنى عليهم القرآن فى أواخر سورة الأنفال وفى أواسط سورة الفتح، وآخرها، وفى سورة التوبة حين قال تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ (التوبة: ١٠٠).

كما أثنى عليهم رسوله فى أحاديث مستفيضة: «خير القرون قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[1].

هذا الإسلام النقى من الإضافات والمبتدعات والذى أتم الله به النعمة على الأمة، وامتنَّ عليها بإكماله، فقال: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ (المائدة: ٣).

لقد تبنيتُ منهج الوسطية منذ أكثر من نصف قرن، ولعل أول كتاب لى فى هذا المجال هو كتاب «الحلال والحرام فى الإسلام»، الذى وضح فيه هذا المنهج بجلاء فى مقدمة طبعته الأولى التى ظهرت سنة ١٩٦٠م وكان مما قلت فيها:

رأيت معظم الباحثين العصريين فى الإسلام والمتحدثين عنه يكادون ينقسمون إلى فريقين:

فريق خطف أبصارهم بريق المدنية الغربية، وراعهم هذا الصنم الكبير، فتعبَّدوا له، وقدموا إليه القرابين ووقفوا أمامه خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة، هؤلاء الذين اتخذوا مبادئ الغرب وتقاليده قضية مُسلَّمة، لا تُعارَض ولا تُناقَش، فإن وافقها الإسلام فى شىء هلَّلوا وكبَّروا، وإن عارضها فى شىء وقفوا يحاولون التوفيق والتقريب، أو الاعتذار والتبرير، أو التأويل والتحريف، كأن الإسلام مفروض عليه أن يخضع لمدنية الغرب وفلسفته وتقاليده. ذلك ما نلمسه فى حديثهم عما حرَّم الإسلام من مثل: التماثيل، واليانصيب، والفوائد الربوية، والخلوة بالأجنبية، وتمرد المرأة على أنوثتها، وتحلى الرجل بالذهب والحرير ... إلى آخر ما نعرف.

وفى حديثهم عمَّا أحل الإسلام من مثل: الطلاق، وتعدد الزوجات ... كأن الحلال فى نظرهم ما أحلَّه الغرب، والحرام ما حرَّمه الغرب. ونسوا أن الإسلام كلمة الله، وكلمة الله هى العليا دائما، فهو يُتَّبع ولا يَتَّبع، ويَعلو ولا يُعلَى، وكيف

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى فى فضائل أصحَاب النبى (٣٦٥١)، ومسلم فى فضائل الصحابة (٣٥٩٤)، وأحمد فى المسند (٢٥٣٣)، والترمذىَ فى المناقب (٣٨٥٩)، وابن ماجه فى الأحكام (٢٣٦٢)، عن ابن مسعود.

يتَّبع الربُّ العبدَ، أم كيف يخضع الخالق لأهواء المخلوقين؟ ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ (المؤمنون: ٧١)، ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس: ٣٥). هذا فريق.

والفريق الثانى جمد على آراء معينة فى مسائل الحلال والحرام. تبعا لنص أو عبارة فى كتاب، وظنَّ ذلك هو الإسلام؛ فلم يتزحزح عن رأيه قَيد شعرة، ولم يحاول أن يمتحن أدلة مذهبه أو رأيه، ويزنها بأدلة الآخرين، ويستخلص الحق بعد الموازنة والتمحيص.

فإذا سئل عن حكم الموسيقى، أو الغناء، أو الشطرنج، أو تعليم المرأة، أو إبداء وجهها وكفيها... أو نحو ذلك من المسائل، كان أقرب شىء إلى لسانه أو قلمه: كلمة «حرام». ونسى هذا الفريق أدب السلف الصالح فى هذا، حيث لم يكونوا يطلقون الحرام إلا على ما عُلم تحريمه قطعا. وما عدا ذلك قالوا فيه: «نكره»، أو «لا نحب»، أو نحو هذه العبارات.

وقد حاولت ألا أكون واحدا من الفريقين.

فلم أرضَ لدينى أن أتخذَ الغرب معبودا لى، بعد أن رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا.

ولم أرضَ لعقلى أن أقلِّد مذهبا معينا فى كل القضايا والمسائل أخطأ أو أصاب، فإن المقلد - كما قال ابن الجوزى - على غير ثقة فيما قلد فيه، وفى التقليد إبطال منفعة العقل، لأنه خلق للتأمل والتدبر. وقبيح بمن أعطى شمعة يستضىء بها أن يطفئها ويمشى فى الظلمة[1].

أجل، لم أحاول أن أُقيد نفسى بمذهب فقهى من المذاهب السائدة فى العالم الإسلامى، ذلك أن الحق لا يشتمل عليه مذهب واحد. وأئمة هذه المذاهب المتبوعة

---

(١) تلبيس إبليس ص ٨١.

لم يدَّعوا لأنفسهم العصمة، وإنما هم مجتهدون فى تَعرُّف الحق، فإن أخطئوا فلهم أجر، وإن أصابوا فلهم أجران.

قال الإمام مالك: كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا النبى صلى الله عليه وسلم. وقال الإمام الشافعى: رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب.

وغير لائق بعالم مسلم يملك وسائل الموازنة والترجيح: أن يكون أسير مذهب واحد، أو خاضعا لرأى فقيه معين. بل الواجب أن يكون أسير الحجة والدليل. فما صحَّ دليله وقويت حجته، فهو أولى بالاتباع. وما ضعف سنده، ووهت حجته، فهو مرفوض مهما يكن مَن قال به.. وقديما قال الإمام على رضى الله عنه: «لا تعرف الحق بالرجال، بل اعرف الحق تعرف أهله»[1].

هذا ما ذكرته من قديم فى كتابى «الحلال والحرام».

وزاد تأكيدى لهذا المنهج وتركيزى عليه: ما لمسته من الضرورة إليه، منذ طلع فجر الصحوة الإسلامية المعاصرة منذ أوائل السبعينيات من القرن العشرين، أى منذ أكثر من أربعين سنة من الزمان.

وكان من دلائل هذا الاتجاه: ما لاحظه بعضهم فى عناوين عدد من كتبى: أن فيها كلمة «بَيْن» مثل: «الفقه الإسلامى بين الأصالة والتجديد»، «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف»، «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم»، «الفتوى بين الانضباط والتسيب»، «الاجتهاد بين الانضباط والانفراط»، «ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق»، «ثقافتنا العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة»، وغيرها. وكلها تدل على أن هناك موقفا وسطا بين طرفين.

وقد تحدثت فى عدد من كتبى عن ملامح هذا المنهج، أو عن بعضها بإيجاز، كما فى كتبى: «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف»، و«الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى والإسلامى»، و«أولويات الحركة الإسلامية فى المرحلة

---

(١) انظر: كتابنا «الحلال والحرام» ص ١٠، ١٢.

القادمة»، و«الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد»، و«خطابنا الإسلامي في عصر العولمة»، وغيرها. ولكن لم أفصلها في كتاب مستقل.

وكان بعض المتدينين قبل عدة سنين يرفضون هذا المنهج، ويتهموننا ـ نحن دعاة الوسطية بالتساهل ـ بالتساهل في الدين، والتفريط في أحكام الشرع، على حين يتهمنا العلمانيون والحداثيون والماركسيون وأمثالهم بالتشدد والتطرف! وهذا شأن «الوسط» دائما، يرفضه الطرفان: الغلاة والمقصرون.

واليوم قد أصبح كثيرون ممن كانوا ينتقدوننا بالأمس، ينادون بنفس منهجنا اليوم: الوسطية، حتى كثير من الحُكام، باتوا يذكرون الوسطية وينوهون بها. لأن هذا الاتجاه إنما يؤكده منطق العصر، ومنطق الأوضاع العالمية، والظروف الإقليمية، ومنطق المحن التي تمر بها الأمة.. وكلها تدل على ترجيح منهجنا.

وقد أنشئت مراكز للوسطية في أكثر من بلد، وغدا هناك تنافس على احتضان هذا المنهج. فلله الفضل والشكر، ولله الحمد والمنة.

حاجة الأمة اليوم إلى الوسطية

إن «منهج الوسطية» هو حبل النجاة، وسفينة الإنقاذ اليوم، لأمتنا العربية والإسلامية من التيه والضياع ـ بل الهلاك والدمار.. ـ الذي يُهدد حاضرها ومستقبلها.

فمعظم قضاياها الفكرية والعملية الكبرى تضيع فيها الحقيقة بين طرفين متباعدين: طرف الغلو أو التطرف أو التشدد أو الإفراط، سمه ما تسميه، المهم أنه هو الطرف الذي يُرهق الأمة من أمرها عسرا، ويُوقعها في الحرج، ويُعسِّر عليها ما يسَّر الله، ويُعقِّد ما سهَّله الدين، ويُضيِّق ما وسَّعه الشرع، لا يسمح لها برخصة، ولا يبيح لها ما توجبه الضرورة، ولا يعرف الظروف المخففة، ولا يؤمن بتغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال. ينكفئ على الماضي، ولا يعايش الحاضر، ولا يستشرف المستقبل، أعمق حكمة عنده قول مَن قال: ما ترك الأول للآخر شيئا، وليس في الإمكان أبدع مما كان! لا يقبل الآخر، ولا يحاوره، ولا يتسامح مع مخالف، ولا يرى العالم إلا من منظار أسود.

والطرف الآخر: طرف التسيب والتفريط والتقصير والإضاعة. فلا يكاد يتشبَّث بعقيدة، أو يتمسَّك بفريضة، أو يحرِّم حراما، الدين عجينة لينة فى يديه، يُشكِّله كيف يشاء، ومتى شاء، ليس فيه ثوابت، بل كل شىء فيه قابل لاجتهاد جديد، أو لقراءة جديدة، تنقله من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين، ما كان ثابتا يمكن أن يُنفى، وما كان منفيا يمكن أن يثبت. ما كان حقا يمكن أن يصبح باطلا، وما كان باطلا يمكن أن يصبح حقا!!

يمكن أن يخرج أصحاب القراءات الجديدة للقرآن وللسنة بدين جديد، غير الدين الذى علَّمه الرسول للصحابة، وعلَّمه الصحابة للتابعين. ومضى عليه خير قرون الأمة، وتوارثه الخلف عن السلف، والأحفاد عن الأجداد. دين يحرم ما استيقنت الأمة بحله طوال أربعة عشر قرنا، أو يحل ما استيقنت الأمة بتحريمه طوال هذه القرون، يمكن أن يغير العقائد، ويبدل القيم، ويسقط الفرائض، ويشرع فى الدين ما لم يأذن به الله.

وبهذا يمكن أن يكون لكل عصر دين، ولكل بلد دين، بل لكل مجموعة دين، بل لكل شخص دين، فليس الدين أمرا يجمع الأمة على كلمة سواء، وعلى الاعتصام بحبل الله جميعا، بل لا يمكن أن تتكون بهذا الدين أمة، لها عقيدة واحدة، وشريعة واحدة، وقيم واحدة، ورسالة واحدة. بل الدين فى هذه الحالة يفرق ولا يجمع، ويباعد ولا يقرب، ويهدم ولا يبنى. لأنه يتعدد بتعدد المتغيرات، والمتغيرات تتنوع - بل تتناقض - بتعدد الثقافات والمؤثرات، المعرفية والفلسفية من العلوم الاجتماعية، والدراسات اللسانية، والأنثروبولوجيا والأبستمولوجيا، وكل «اللوجيات» المعروفة وغير المعروفة، مما يمكن أن يتمخض عنه الغد القريب أو البعيد.

كل ما أصَّله الراسخون فى العلم من أعلام الأمة وأئمتها الكبار، فى أصول الدين، أو أصول الفقه، أو أصول التفسير، أو أصول الحديث: كل هذا دُبر أذان هؤلاء، وتحت أقدامهم.

إن لهم أئمة «معصومين» يقلدونهم، ويأخذون عنهم، ولا يناقشونهم فيما

ذهبوا إليه من دعاوى؛ لأن ما يقولونه صدق، وكل ما يعتقدونه حق! وكل ما يرونه صواب!! فى حين يعيبون ويشددون النكير على مَن أخذ عن أئمة الأمة، ابتداء من الصحابة، وتابعيهم بإحسان، ومَن تخرج على أيديهم من الأئمة الكبار، الذين كانوا مُثلا تُحتذى فى طلب العلم وحسن فهمه، وفى تقوى الله، وسلوك سبيل الهداية والخير.

إن هؤلاء التجديديين أو الحداثيين أو المستغربين - سمهم ما شئت - يسيرون وراء أئمتهم من الغرب، ويتبعون سنتهم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، وينقلون عنهم كل ما يقولون وما يُقَرّرون، دون اعتراض ولا ملاحظة، ولا مناقشة.

ثم يزعمون لنا - ويحلفون - أنهم الأحرار المتحررون أو المتنورون! وما تحرروا إلا من قيَم الإسلام، ومفاهيم الإسلام؛ إن صحّ أن يُسمّى ذلك تحررا، والحق: أنه التحلّل لا التحرر. إنهم - كما سميتهم من قديم - عبيد الفكر الغربى.

إن الأمة التى وصفها الله بالوسط ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة: ١٤٣)، وهى معصومة فى مجموعها، فلا تجتمع على ضلالة: ترفض منهج هؤلاء المتسيبين المتحللين من العروة الوثقى. كما ترفض منهج الغلاة المتنطعين الذين أخبر رسول الإسلام بأنهم هالكون «هلك المتنطعون...» قالها ثلاثا[1].

لهذا كان لزامًا على ورثة الأنبياء من العلماء - الذين يحملون علْم النبوة، وميراث الرسالة، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين -: أن يتبنوا منهج الوسطية، ويبينوه للناس، ويدافعوا عنه، ويُجَلّوا مزاياه، وهو ما تبناه «الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين» فقد وزعت على أعضائه «المعالم العشرين» التى كنت كتبتها للدلالة على منهج الوسطية فى أثناء انعقاد الجمعية العامة الأولى التى عقدت فى لندن فى صيف ٢٠٠٤م.

---

(١) رواه مسلم فى العلم (٢٦٧٠)، وأحمد فى المسند (٣٦٥٥)، وأبو داود فى السنة (٤٦٠٨)، عن ابن مسعود.

وحين كلّفنى الإخوة فى المكتب التنفيذى للاتحاد أن أكتب «الميثاق الإسلامى» للاتحاد ، كان نُصب عينى ـ وأنا أكتبه ـ أن يكون مجسِّدًا للفكر الوسطى ، والمنهج الوسطى الذى أدعو إليه ، ويدعو إليه جمهرة العلماء ؛ الذين يؤمنون بشريعتهم ، ويستلهمون تراثهم ، ولا يغفلون عصرهم ، والحمد لله فقد تحقق فيه ما يريد العلماء . وأقرّ إخوانى فى المكتب التنفيذى ، وفى مجلس الأمناء مجمل ما كتبته إلا بعض ملاحظات تناولته بالتحسين والإضافة والتعديل ، حتى ظهر فى صورته الأخيرة ، وأقره الجميع على اختلاف مذاهبهم .

وأمست فكرة الوسطية العادلة المتوازنة من المبادئ المتبناة من قِبَل علماء الأمة .

المهم هنا : أن نُبقى على حُسن فهم الوسطية ، وأن نعمل على تطبيقها على أرض الواقع ، حتى يتلاقى العلم والعمل ، والفكر والسلوك .

معالم الوسطية كما أراها

وحتى لا يدَّعى هذا المنهج (الوسطية) مَن لا يفقهه ولا يعيه، ولا يخوض فيه كل مَن هَبَّ ودَبَّ، بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير: وجدت لزاما علىّ أن أضع للقارئ المسلم معالم أو ملامح أو ضوابط: تحدد الأصول الفكرية والشرعية لهذا التيار أو هذا المنهج، لتكون منارات تهدى من أراد الاهتداء بهذا المنهج، والسير فى ضوئه على نور وبينة، ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (الملك: ٢٢).

ومن الضرورى هنا: ألاّ نَدَع مفهوم الوسطية مائعا رجرجا هلاميّا، يفسره كل مَن شاء، بما شاء، ويدعيه كل فريق لنفسه، زاعمًا أن ما يدعو إليه هو الوسطية التى يدعو إليها الداعون، ويُنوِّه بها المنوِّهون.

وقد كنت منذ فترة وضعت «عشرين معلمًا» - على سبيل الإيجاز لمنهج الوسطية، وزعتُها على الجمعية العامة التأسيسية للاتحاد العالمى لعلماء المسلمين، الذى انعقد فى لندن فى شهر يوليو سنة ٢٠٠٤م.

وقد طلب منى بعض الإخوة من العلماء: أن يقوم بشرحها، فقلت له: أولى الناس بشرحها، هو صاحبها. فالمفروض أن أقوم بشرحها وتجليتها، وتأصيلها وتفصيلها. وهى فى الحقيقة مشروحة فى كثير من كتبى، ولكنها منثورة فيها، فلا بد من تجميعها، وترتيبها، والاستدلال عليها، وربط الفروع بأصولها، ورد الجزئيات إلى الكليات. حتى نستبين للقارئ الكريم، بلا لبس ولا غبش.

وقد نظرت فى هذه المعالم العشرين - فكل مصنف دائما يسعى إلى تحسين ما

كتبه، حتى يصل به إلى أكمل ما يكون فكرة وعرضا وأسلوبا ـ وأعدت صياغتها وترتيبها، وفصلتها بعض التفصيل، فبلغت الثلاثين معلما، ثم اختصرتها، ليسهل حفظها لمن أراد.

وقد أردت بها: أن يُعرف المنهج الوسطى لطلابه ومريديه، وأن تتضح صورته وملامحه، وتتحدد أركانه ومقوماته، وتتجلى خصائصه.

وها هى ذى فى صياغتها الأخيرة. آملا بعد ذلك أن يُيسر الله فى شرحها على الوجه الذى أحب، وأدعو الله أن يوفقنى إليه.

سَرْد معالم الوسطية

١ ـ الفهم الشمولى للإسلام

الفهم الشمولى التكاملى للإسلام، كما أنزله الله على رسوله، بوصفه: عقيدة وشريعة، علما وعملا، عبادة ومعاملة، ثقافة وأخلاقا، حقا وقوة، دعوة ودولة، دينا ودنيا، حضارة وأمة.

ورفض كل تجزئة لأحكام الإسلام وتعاليمه، كدعوى الذين يريدونه: أخلاقا بلا تعبد، أو تعبدا بلا أخلاق، أو عقيدة بلا شريعة، أو زواجا بلا طلاق، أو سلاما ـ أو استسلاما ـ بلا جهاد، أو حقا بلا قوة، أو دينا بلا دولة، وهو ما يرفضه الإسلام نفسه الذى يقول كتابه: ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ (المائدة: ٤٩).

٢ ـ مرجعية القرآن والسنة

الإيمان بمرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، للتشريع والتوجيه للحياة الإسلامية، وللأمة الإسلامية التى تستمد من المصدرين المعصومين: عقائدها وتشريعاتها، وآدابها وأخلاقها، ومفاهيمها وموازينها.

مع ضرورة فهم النصوص الجزئية فى ضوء المقاصد الكلية للإسلام وشريعته، ولا يجوز معارضة أحدهما بالآخر، أو الاكتفاء بالجزئى عن الكلى، أو بالكلى عن الجزئى. والحذر من الحرفية من جانب، ومن سوء التأويل من جانب آخر، ومن اتباع المتشابهات وترك المحكمات.

٣ـ ترسيخ المعانى والقيم الربانية

ترسيخ المعانى والقيم الربانية التى هى أساس الدين، من الإيمان بالله تعالى وتوحيده واليقين بالدار الآخرة وما فيها من حساب وجزاء، وجنة ونار، واستحضار خشية الله تعالى وتقواه، التى هى من عمل القلوب، والتركيز على عبادة الله تعالى بوصفها الغاية التى خلق لها الإنسان، وتوجيه هذه العبادة لله وحده. وهى تتجلى فى الشعائر الأربع الكبرى: الصلاة والزكاة والصيام والحج، وهى العبادات المفروضة، وبجوارها عبادات أخرى مندوبة، مثل: تلاوة القرآن وذكر الله تعالى والدعاء والاستغفار.

هذا بالإضافة إلى العبادات الباطنية: من صدق النية والإخلاص لله، والمحبة له، والرضا عنه، والرجاء فى رحمته، والخوف من عذابه، والشكر لنعمائه، والصبر على بلائه، والزهد فى الدنيا، والإقبال على الآخرة. وهى أساس التصوف الحقيقى الذى يقوم على «الصدق مع الحق، والخُلُق مع الخَلق».

ومن الواجب: غرس هذه المعانى الربانية عن طريق الدعوة والتربية والثقافة والإعلام.

ونرفض موقف الذين ينكرون التصوف كله ويعرضون عنه، والذين يأخذونه كله بما فيه من شركيات فى العقيدة، ومبتدعات فى العبادة، وسلبيات فى التربية، دون مراجعة ولا تمحيص.

٤ـ وضع التكاليف فى مراتبها الشرعية

فهم التكاليف والأعمال فهما متوازنا، يضعها فى مراتبها الشرعية، وينزل كل تكليف منزلته وفق ما جاءت به النصوص، التى ميزت بين الأعمال: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ (التوبة: ١٩) فلا يجوز أن يكبَّر الصغير، ولا أن يُصَغَّرَ الكبير، ولا يُؤَخَّرَ ما حقه التقديم، ولا يُقدَّم ما حقه التأخير. ومن هنا وجب تقديم العقيدة على العمل،

والأصول على الفروع، والفرائض على النوافل، والفرائض الركنية على غيرها من الفرائض، وفرائض العين على فرائض الكفاية، والشرك على المعصية، والكبيرة على الصغيرة، والمحرم المجمع عليه على المختلف فيه، كما يقدم الكيف على الكم، والجوهر على الشكل، والباطن على الظاهر، وأعمال القلوب على أعمال الجوارح.

وأيضا يقدم القطعى على الظنى، والثابت بالنص على الثابت بالاجتهاد، والمتفق عليه على المختلف فيه. وهو ما أطلقنا عليه اسم «فقه الأولويات».

٥ـ القيم الأخلاقية

التركيز على القيم الأخلاقية التى عُنى بها الإسلام، وجعلها من شعب الإيمان، وجعلها من ثمرات العبادات الَتى فرضها الله، وجاء فى الحديث النبوى: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[١]». واعتبر الإخلال بها من خصال النفاق، سواء كانت أخلاقا فردية مثل: الصدق والأمانة وإنجاز الوعد، والوفاء بالعهد، والإنصاف فى الخصومة، والتواضع والحياء، والسخاء والشجاعة والعفة، أم أخلاقا اجتماعية مثل العدل والإحسان، وبر الوالدين، وصلة الأرحام والجيران، والرحمة بالضعفاء، والتعاون على البر والتقوى، ولزوم الجماعة، وإيتاء ذى القربى حقه والمسكين وابن السبيل، وعدم التبذير فى إنفاق المال، والإسراف فيه، كمنع الشح والبخل به.

ورفض موقف الذين يعتبرون العبادات الشعائرية هى كل شىء، وإن لم تؤثر فى أخلاقهم وسلوكهم، وموقف الذين يعتبرون الأخلاق كل شىء، وإن لم يودوا فرائض ربهم.

---

(١) رواه والبخارى فى الأدب المفرد (١/ ١٠٤) وأحمد فى المسند (٨٩٥٢) بلفظ: «صالح الأخلاق»، وقال مخرّجوه: «صحيح وهذا قوى»، والحاكم فى تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين (٢/ ٦٧٠)، وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، والبيهقى فى الشعب (٦/ ٢٣٠)، والبيهقى فى الكبرى كتاب الشهادات (١٠/ ١٩١)، عن أبى هريرة.

٦ ـ التجديد والاجتهاد من أهله وفى محله

تجديد الدين من داخله، وإحياء مبدأ الاجتهاد الذى لا تحيا الشريعة إلا به، سواء كان اجتهادا إنشائيا أم انتقائيا، كليا أم جزئيا، فرديا أم جماعيا. على أن يكون الاجتهاد من أهله: الذين استجمعوا شرائطه المعروفة، وفى محله: أى فى غير القطعيات، التى تجسد وحدة الأمة العقدية والفكرية والشعورية والعملية، وهى قليلة جدا، ولكنها مهمة جدا؛ لأنها تمثل «الثوابت» التى لا يجوز اختراقها بحال.

ورفض موقف الذين يغلقون باب الاجتهاد، ويوجبون التقليد على كل العلماء، وموقف الذين يفتحون أبوابه لكل من هب ودب.

٧ ـ الموازنة بين الثوابت والمتغيرات

الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر، فلا يجوز إغفال الثوابت، ولا إهمال المتغيرات، ولا تحويل الثوابت إلى متغيرات، ولا المتغيرات إلى ثوابت، ولكن يجب ملاحظة أثر تغير الزمان والمكان والحال والعرف فى تغير الفتوى، وفى أسلوب الدعوة والتعليم. مع ضرورة مراعاة الثبات فى الأهداف والغايات، والمرونة والتطور فى الوسائل والآليات، وكذلك الثبات فى الأصول والكليات، والمرونة فى الفروع والجزئيات.

وبهذا نقول: نعم «للتحديث» ولمواكبة العصر فى التقدم العلمى والتكنولوجى والتطور المحمود، الذى يرقى بالحياة والإنسان. كما نقول: لا «للتغريب» الذى يريد أن يسلخ الأمة من جلدها، ويجعلها تبعا لأمم أخرى، باسم «الحداثة» أو «العولمة» أو غيرها.

ورفض موقف الذين يريدون أن يجمدوا الحياة باسم الشرع، فلا مجال لتطوير ولا تغيير، وموقف الذين يريدون أن يغيروا الدين واللغة والشمس والقمر! كما قال الرافعى رحمه الله.

٨ـ تبنى منهج التيسير فى الفتوى

تبنى منهج التيسير والتخفيف فى الفقه والفتوى، اتباعا للمنهج القرآنى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة: ١٨٥) ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج: ٧٨)، وللمنهج النبوى: «يسروا ولا تعسروا»، «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[١]. ومن ذلك: التضييق فى الإيجاب والتحريم، والإفتاء بالرخص، ولا سيما عند الحاجة إليها، وبقاعدة «الضرورات تبيح المحظورات» وقاعدة «الحاجة تنزل منزلة الضرورة»، والتوسع فى مصادر التشريع فيما لا نص فيه من الأخذ بالاستصلاح والاستحسان ورعاية العرف، وسد الذريعة. . وإن كان ولا بد من التشديد، فليكن فى الأصول لا فى الفروع. وقد حذر الرسول الكريم من الغلو والتنطع والتشديد والتعسير.

وإذا كان التيسير مطلوبا فى كل زمان، فهو أشد ما يكون طلبا فى هذا العصر، الذى غلبت فيه الماديات على المعنويات، وتعقدت فيه حياة الناس، وكثرت العوائق عن الخير، والمغريات بالشر.

والتيسير المطلوب هنا: لا يعنى تبرير الواقع، أو مجاراة الغرب، أو إرضاء الحكام، بلىّ أعناق النصوص حتى تفيد التيسير قسرا، فيحلُّوا الحرام، ويبدّلوا الأحكام، فهذا موقف مرفوض، كموقف الذين يعسرون ما يسر الله، ويعرضون عن كل قول فيه تخفيف على عباد الله.

٩ـ تبنى منهج التبشير فى الدعوة

تطوير مناهج الدعوة إلى الإسلام للمسلمين تفقيها للتعاليم، وتصحيحا للمفاهيم، وتثبيتا وتذكيرا للمؤمنين، وبيانا لحقائق الإسلام، وردا على أباطيل خصومه. . ولغير المسلمين، باعتبار دعوة الإسلام دعوة عالمية خالدة موجهة للناس كافة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) مع ضرورة استخدام آليات

(١) رواه البخارى فى الوضوء (٢٢٠)، وأحمد فى المسند (٧٢٥٥)، وأبو داود فى الطهارة (٣٨٠)، والترمذى فى الطهارة (١٤٧)، والنسائى فى الطهارة(٥٦)، عن أبى هريرة.

العصر من الفضائيات والإنترنت وغيرها، فى تبليغها إلى العالمين، بلغاتهم المختلفة، مع وجوب رعاية الأصول، بجانب رعاية روح العصر، وأسلوب العصر.

ودعوة المسلمين تكون كما رسمها القرآن ـ بالحكمة والموعظة الحسنة ـ ودعوة المخالفين عن طريق الحوار بالتى هى أحسن، سواء كانوا مخالفين فى أصل الدين، أم مخالفين فى المذهب داخل الدين أم مخالفين فى غير ذلك. وتبنى منهج التبشير فى الدعوة، إلى جوار منهج التيسير فى الفتوى. وبذلك يتكامل المنهج النبوى الذى أمرنا به: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»[1].

والتبشير فى الدعوة: أن نذكّر بالرجاء مع الخوف أو قبل الخوف، وبالوعد مع الوعيد أو قبل الوعيد، ونؤكد بواعث الأمل بدل المثبطات والمحبطات، ونعرف بالإسلام: أنه دين التفاؤل لا التشاؤم، دين الأمل لا القنوط، دين الحب لا البغض، دين التعارف لا التناكر، دين الحوار لا الصدام، دين الرفق لا العنف، دين الرحمة لا القسوة، دين السلام لا الحرب، دين البناء لا الهدم، دين الجمع لا التفريق. ومن هنا تتكامل العناية بالعبادة والثقافة والرياضة والفن، فالعبادة تغذى الروح، والثقافة تغذى العقل، والرياضة تغذى الجسم، والفن يغذى الوجدان.

١٠ـ التدرج الحكيم

التدرج الحكيم: فى الدعوة والتعليم والإفتاء والتغيير، وعدم استعجال الشىء قبل أوانه، والثمرة قبل نضجها. والتدرج سنة كونية، كما هو سنة شرعية. قال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ**﴾ (الأحقاف: ٣٥).

وقد أنزل الله القرآن فى ثلاث وعشرين سنة على رسوله صلى الله عليه وسلم، ليقرأه على الناس على مكث، وليعايش الناس فى تطور حياتهم، ويجيبهم عن

(١) رواه البخارى فى العلم (٦٩). ومسلم فى الجهاد والسير (١٧٣٤). وأحمد فى المسند (١٣١٧٥). وأبو داود فى الأدب (٤٧٩٤) عن أنس.

تساؤلاتهم كلما سألوا: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣٣).

١١ ـ المزج بين المتقابلات

تأكيد الدعوة إلى المزج بين الروحانية والمادية، بين الربانية والإنسانية، بين العقل والقلب، بين الدنيا والآخرة، بين حق الرب، وحظ النفس، وحقوق الغير، بين الإبداع المادى والاقتصادى، والسمو الروحى والأخلاقى، بحيث يأخذ كل جانب منها حقه، دون طغيان على الجانب الآخر، أو الجوانب الأخرى.

١٢ ـ السلام والجهاد

الدعوة إلى السلام مع كل من بسط يده للسلام، وتجنيب البشرية الحروب المدمرة بغير ضرورة، والسعى إلى الصلح والمعاهدات بين الدول، والجنوح إلى السلم كلما تيسرت سبله، هذا مع التمسك بفرضية الجهاد فى سبيل الله للدفاع عن حرمة الدين والمقدسات، وعن أرض الإسلام، وأمة الإسلام، والمستضعفين فى الأرض، والوقوف فى وجه الفراعنة والمستكبرين فى الأرض. وإعداد أقوى ما يستطاع من العدة العسكرية لإرهاب الأعداء، وبيان أنواع الجهاد ومجالاته: من الجهاد النفسى، والجهاد الدعوى، والجهاد المدنى، والجهاد ضد الظلم والفساد فى الداخل، إلى جانب الجهاد العسكرى.

ومن الجهاد الواجب: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتغيير المنكر باليد أو باللسان أو القلب حسب الاستطاعة.

١٣ـ فريضة تحرير الأرض الإسلامية

توعية الأمة بأن الجهاد مفروض عليها فرض عين لتحرير أرضها من كل سلطان أجنبى مسلط عليها. ولهذا كانت مقاومته الاحتلال الأجنبى فرضا دينيا مؤكدا، حتى يطرد من أرض الإسلام.

وأول أرض يجب تحريرها هى أرض فلسطين، أرض الإسراء والمعراج، التى غزاها الاستعمار الصهيونى، القادم من خارج المنطقة، مؤيَّدا من الغرب كله، فاغتصب الأرض، وشرد أهلها، وسفك دماءهم، واستحل حرماتهم، و بنى دولته على أشلائهم. وبالحديد والنار والدم: استطاع الاستعمار الصهيونى الوحشى العنصرى الاستيطانى الإحلالى أن يثبت دولته فى قلب بلاد العرب والمسلمين، على رغم أنوفهم.

ولم تكتف الدولة بحدودها المغتصبة، ففكرتها الأصلية أن ملك إسرائيل من الفرات إلى النيل، ومن الأرز إلى النخيل، فاحتلت فلسطين كلها، بل احتلت بعض أجزاء من بلاد عربية أخرى. ولا تزال تقتل وتدمر بغير حساب فى فلسطين وما حولها، مؤيدة بالمال الأمريكى، والسلاح الأمريكى، والسياسة الأمريكية التى تستخدم إسرائيل فى تحقيق أهدافها فى المنطقة، التى تريد تغييرها من الجذور، حتى تغير اسمها، فهى شرق أوسط كبير أو جديد.

وعلى الأمة أن تتصدى لهذا الاستعمار المزدوج: الصهيونى الأمريكى، الذى جعل هدفه أمة الإسلام جمعاء. وهو يحارب الإسلام تحت عنوان محاربة الإرهاب.

١٤ـ حقوق الأقليات الدينية

الاعتراف بحقوق الأقليات الدينية ـ يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو غيرها ـ ومعاملتهم بما أوجبه لهم الإسلام من تركهم وما يدينون، وعدم التدخل فى شؤونهم العقدية أو التعبدية، أو أحوالهم الشخصية، والتأكيد على أنهم من «أهل دار الإسلام» بإجماع فقهاء الأمة، ومقتضى هذا: أنهم بلغة عصرنا «مواطنون» لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، إلا ما اقتضاه التميز الدينى، فلا تفرض عليهم عبادة إسلامية، ولا تقاليد إسلامية، ولا تضييق عليهم فيما يحله لهم دينهم، وإن كان الإسلام يحرمه مثل أكل الخنزير وشرب الخمر. وتسميتهم «أهل الذمة» ليس بلازم دينا، فقد أسقط عمر رضى الله عنه: ما هو أهم من الذمة، وهو كلمة

«جزية» المذكورة فى القرآن، حين عرض بنو تغلب، وهم عرب نصارى: أن يدفعوا ما يطلب منهم ـ ولو مضاعفا ـ باسم الزكاة التى يدفعها المسلمون، لأنهم عرب يأنفون من كلمة «جزية» فقبل منهم عمر.

ولم ينهنا القرآن أن نبر هؤلاء، ونقسط إليهم ما داموا لم يقاتلونا فى الدين ولم يخرجونا من ديارنا، ولم يظاهروا على إخراجنا.

١٥ ـ احترام العقل والتفكير

احترام العقل والتفكير، والدعوة إلى النظر والتدبر: فى آيات الله الكونية فى الأنفس والآفاق، وآيات الله التنزيلية فى القرآن، وتكوين العقلية العلمية التى ترفض الخرافات، ولا تقبل دعوى إلا ببرهان، وهى العقلية التى أنشأها القرآن بتعاليمه. ومقاومته الجمود والتقليد الأعمى للآباء أو للسادة والكبراء، أو لعامة الناس. واعتبار العقل أساس النقل وثبوت الوحى، وهو المخاطب بأحكام الشرع، والأداة الفذة فى فقه الدين وفهم الدنيا. وتأكيد نفى وجود التعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح. أو بين الوحى الربانى، والعقل الإنسانى، بل هما نور على نور. وإذا تعارض عقلى ونقلى: قُدِّم القطعى على الظنى منهما، وإذا كانا ظنيين: قُدِّم النقلىّ، حتى يثبت العقلى أو ينهار.

ونرفض موقف الذين يعطلون العقل أو يجمدونه باسم الشرع، وموقف الذين يقدمون العقل على الشرع أبدا، وباسمه يريدون تحريف شرع الله.

١٦ ـ القيم الإنسانية والاجتماعية

الدعوة إلى المبادئ والقيم الإنسانية والاجتماعية، التى فرط فيها كثير من المسلمين، وتوهم بعضهم: أنها مبادئ وقيم غربية، وهى فى الحقيقة من قيم الإسلام الأصلية، مثل: العدل فى القضاء وفى السياسة والاقتصاد، ومثل: الشورى فى المجتمع وفى الحكم، والحرية والكرامة، وحقوق الإنسان، ولا سيما حقوق الفئات الضعيفة فى المجتمع، وتوفير الحرية المدنية والدينية والسياسية: التى

هى شرط للرقى بالمجتمع، وإقامة العدل والمساواة بين أبنائه، بل شرط لتطبيق الشريعة على وجهها، حين يختارها الناس طوعا بإرادتهم الحرة.

ومن المطلوب: إقامة الجمعيات والأندية والمؤسسات المدنية الخيرية والتعليمية والاجتماعية والثقافية، التى تهتم بخدمة المجتمع والنهوض به، حتى يصعد ويرقى، ويخرج من سجن التخلف، ويقوم بواجبه نحو نفسه، ونحو أمته الكبرى، ونحو الإنسانية كلها من حوله.

١٧ ـ إنصاف المرأة وتكريمها

توكيد ما جاء به الإسلام من إعطاء المرأة حقوقها ومكانتها وكرامتها: إنسانا، وأنثى، وبنتا، وزوجة، وأما، وعضوا فى المجتمع، وتحريرها من رواسب عصور التخلف والتراجع الإسلامى، التى حرمتها من كثير من حقوقها، حتى الصلاة فى المسجد، وحتى حقها فى اختيار الزوج، ومن غوائل الغزو الحضارى الغربى الذى أخرج المرأة من فطرتها، ولم يراع أنوثتها، والذى جعل المرأة المسلمة تسير وراء المرأة الغربية شبرا بشبر وذراعا بذراع. فى حين يشكو النقاد والمصلحون من جناية هذه الحضارة على الفطرة الإنسانية، وعلى المرأة والرجل جميعا.

ونحن نرفض تفكير الغلاة الذين يريدون أن يسجنوا المرأة فى البيت ويحرموها من حق العلم والعمل، والمشاركة فى الحياة الاجتماعية والسياسية كما قال تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ (التوبة: ٧١).

كما نرفض الذين يريدون أن يذيبوا الفوارق بين الذكورة والأنوثة، مناقضين فطرة المرأة، وفطرة الكون كله، القائم على قاعدة الزوجية: ﴿ **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ (الذاريات: ٤٩)، وليس على قاعدة «المثلية» التى يتبنّى الغرب إشاعتها اليوم، فالحياة إنما تستمر بالجنس ومقابله، لا بالجنس ومثله.

١٨ ـ العناية بالأسرة وتوسيعها

العناية بأمر الأسرة، باعتبارها الدعامة الأولى لقيام المجتمع الصالح، وإقامتها

على الأسس الإسلامية الصحيحة، من حسن الاختيار، وشرعية الرؤية بين الخاطب والمخطوبة، والبعد عن الإسراف فى المهور والاحتفالات، وكل مظاهر الرياء الاجتماعى، وتأسيس الحياة الزوجية على السكينة والمودة والرحمة، ورعاية حقوق كل من الزوجين على صاحبه، ومعاشرته بالمعروف، والصبر عليه، وإن أحس بالكراهية، والتحكيم عند النزاع، وعدم اللجوء إلى الطلاق إلا إذا تعذر الوفاق، وشرعية تعدد الزوجات بقيوده وشروطه، دون توسع ولا تحريم. والإيمان بالأسرة الممتدة التى تشمل الأبوين والإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وأولادهم، بما لهم من حق فى البر والصلة.

١٩ ـ حق الشعوب فى اختيار حكامها

احترام حق الشعوب فى اختيار حكامها من الأقوياء الأمناء، الذين تثق بكفايتهم ودينهم، دون تزييف لإرادتها، أو فرض حاكم عليها يقودها على رغم أنوفها، فإذا اختارت هذا الحاكم فله عليها حق المعونة والنصيحة والطاعة فى غير معصية. ولها ـ بل عليها ـ أن تسائله وتحاسبه، وترشده إذا أخطأ، وتقومه إذا انحرف، وتعزله إذا تمادى فى غيه بالطرق السلمية. ويقوم نظام الحكم على العدل والشورى ورعاية الحقوق، والالتزام بشريعة الله وما أنزل من الكتاب والميزان. والاستفادة من النظام الديمقراطى بما فيه من آليات وضمانات ووسائل فى مساندة الشعوب، وتقييد سلطان الحكام، دون أن نأخذ بكل ما فيها من مثل إطلاق الحرية الفردية، ولو على حساب القيم الأخلاقية، والأحكام الشرعية. وبهذا نأخذ خير ما فى الديمقراطية، ونتجنب شر ما فيها.

٢٠ ـ تقوية اقتصاد الأمة وبناؤه على فقه الشريعة

تقوية اقتصاد الأمة، والعمل على تكاملها فيما بينها، حتى تكتفى اكتفاء ذاتيا، مدنيا وعسكريا، وبناء هذا الاقتصاد على فقه الشريعة ومقاصدها، وتشجيع إقامة المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية، وتحريرها من الصورية والشكلية، والعمل على تحسينها حتى تسهم بقوة فى تنمية المجتمعات الإسلامية، والتخطيط العلمى

والسعي العملي لتأسيس اقتصاد إسلامي متميز، يتحقق فيه: زيادة الإنتاج، وترشيد الاستهلاك، واستقامة التداول، وعدالة التوزيع. والإبقاء على وسطية الاقتصاد الإسلامي، فلا ينهج نهج النظام الرأسمالي الذي يُطغي الفرد على حساب المجتمع، ولا النظام الشيوعي الذي يطغي المجتمع على حساب الأفراد.

٢١ـ الأمة الإسلامية ووحدتها والولاء لها

الإيمان بوجود الأمة الإسلامية وخلودها، وأنها أمة لن تموت، لأنها حاملة الرسالة الخاتمة، والإيمان بفرضية وحدتها، وبالأخوة الدينية بين أبنائها، على اختلاف مدارسها ومذاهبها، واعتبار الفرق المختلفة كلها من الأمة الواحدة، ما دامت تصلي إلى القبلة، وتؤمن بالقرآن الكريم، وبالسنة المشرفة، والسعي إلى التقريب بين فئاتها، بحيث تتعاون فيما يتفق عليه، وتتسامح وتتحاور في المختلف فيه، وتقف صفا واحدا في القضايا الكبرى. والتأكيد على مبدأ الولاء للأمة، بمعنى المودة والنصرة لها ولا يكون لأمة أخرى من دونها.

٢٢ـ الإيمان بالتعددية والتنوع

الإيمان بالتعددية الدينية، والتعددية العرفية، والتعددية اللغوية، والتعددية الحضارية(أو الثقافية)، والتعددية السياسية، وضرورة التعايش بين الحضارات، والتلاقح بين الثقافات، وتفاعل بعضها مع بعض، واقتباس بعضها من بعض، دون انكماش ولا استعلاء بالقوة أو بالكثرة أو بالمال، وإشاعة روح التسامح الذي دعا إليه الإسلام، وتميز به خلال تاريخه.

٢٣ـ تجنب التكفير والتفسيق

تحسين الظن بكل من شهد الشهادتين، وصلى إلى القبلة، ولم يصدر منه ما يخالفها بيقين. والأصل حمل حال المسلم على الصلاح ما أمكن ذلك، وتجنب التفسيق والتكفير ما وُجد إلى التجنب سبيل، وخصوصا: فسق التأويل، وكفر

التأويل. فمفتاح الدخول فى الإسلام هو كلمة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» فلا يخرجه من الإسلام إلا جحود ما أدخله فيه، واليقين لا يُزال بالشك.

والتكفير خطيئة دينية، وخطيئة علمية، لا يحل لمسلم السقوط فى هاويته، لما يترتب عليه من الحكم على المسلم بالإعدام المادى أو الأدبى أو كليهما، من المجتمع المسلم. لذا وجب الحذر كل الحذر من الوقوع فيه، إلا ما ثبت بيقين لا شك فيه، من تكذيب لقواطع القرآن، أو إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة، أو سب صريح لله ورسوله، كما جاء فى الحديث: «إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان»[1]، والمقصود: البرهان القاطع. أما ما يحتمل التأويل، فإن الشك يفسر لصالح المتهم بالكفر.

٢٤ ـ الأقليات الإسلامية فى العالم

العناية بالأقليات الإسلامية فى العالم؛ باعتبارها جزءا من الأمة المسلمة، قدر لها أن تعيش وسط مجتمعات مخالفة لها فى الدين. وعلى الأمة أن تعينهم على أن يعيشوا بإسلامهم فى مجتمعاتهم، عناصر حية فاعلة، تجسد الإسلام فى سلوكها وتعاملها، على أن يكون لها فقهها الذى يراعى ظروفها فى ضوء الشريعة، وأن يكون شعارها: استقامة على الدين بلا انغلاق، واندماج فى المجتمع بلا ذوبان.

٢٥ ـ عمارة الأرض وتحقيق التنمية وحماية البيئة

العناية بعمارة الأرض، وتحقيق التنمية المتكاملة، مادية وبشرية، ورعاية البيئة بكل مكوناتها، وحمايتها من التلوث والفساد، والحفاظ على التوازن البيئى والتوازن الكونى، والتعاون على كل ما ييسر المعيشة للناس، وكل ما يشيع الجمال فى الحياة، واعتبار ذلك عبادة وجهادا فى سبيل الله. وعلى سكان الأرض: أن يتَّحدوا فيما بينهم ليحافظوا على أرضهم، ويواجهوا الأخطار المهددة لهم، من الذين يفسدون فى الأرض بعد إصلاحها، ويحافظوا على الميزان الكونى، ﴿أَلاَّ

(١) رواه البخارى فى الفتن (٧٠٥٥) ومسلم فى الإمارة (١٧٠٩) وأحمد فى المسند (٢٢٦٧٩)، (٢٢٧٢٥) عن عبادة بن الصامت.

تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٨، ٩). بدل أن يحارب بعضهم بعضا. وبذلك يقيمون حضارة متوازنة، تكرم الإنسان، وتعتبره خليفة الله فى الأرض، لا مجرد حيوان متطور.

٢٦ ـ ضرورة الإصلاح والتغيير

حث دعاة الإصلاح والتغيير على مقاومة التخلف والفساد، فالتخلف يعطل عقل الأمة، والفساد يعطل ضميرها، وهو أول عائق للتقدم: الفساد السياسى، والفساد الاقتصادى، والفساد الإدارى، والفساد الأخلاقى. وعلى هؤلاء الدعاة أن يتعاونوا لإقامة إصلاح حقيقى؛ يشمل هذه المجالات كلها. ولا يكون الإصلاح حقيقيا إلا إذا تم بإرادتنا وبأيدينا، ومن منظورنا، ولتحقيق أهدافنا ومصالحنا. أما الإصلاح الذى يفرضه الآخرون علينا، لتحقيق أهدافهم، ولينفذ بأيديهم أو أيدى عملائهم، فيستحيل أن يكون إصلاحا.

ومدخل كل إصلاح هو إصلاح الأنظمة السياسية المستبدة التى تحكم شعوبنا، وتتحكم فى مصائرها، وتخرس كل لسان حر، وتكسر كل قلم حر، وتسجن كل داعية حر، وتزوّر الانتخابات، وتقهر الخصوم بقوانين أحكام الطوارئ، والمحاكم العسكرية. فلا علاج لهذا الفساد إلا بتغيير جذرى، يأتى بحكام يختارهم الشعب بكل حريته، ويستطيع أن يحاسبهم ويسائلهم، ويقوّمهم ويعزلهم إذا تمادوا فى السوء.

وأساس كل تغيير هو تغيير الإنسان من داخله، فهو يقاد من باطنه لا من ظاهره، ومن عقله وضميره لا من أذنه أو رقبته، وشعار الإصلاح هنا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

٢٧ ـ تجميع كل قوى الأمة وحركاتها

العمل على تجميع القوى والجماعات والحركات العاملة لنصرة الإسلام وبعث أمته، فى صف واحد، ووجهة واحدة. وليس من الضرورى، بل لعله ليس من

المفيد أن يجتمعوا فى حركة واحدة؛ أو جماعة واحدة، فهذا يقتضى أن تتوحد أهدافهم، وتتوحد برامجهم، وتتوحد قيادتهم، وهذا ليس بالأمر السهل. ويكفى أن يكون بينهم قدر معقول من التفاهم والتنسيق، وأن يقفوا صفا واحدا فى القضايا المصيرية، وأن يكونوا فى مواجهة أعداء الأمة وأعداء دينها كالبنيان المرصوص. ولا سيما فى أوقات الشدائد والأزمات، فالمصائب تجمع المصابين، والمحن توحد المختلفين، والأزمات تقرب المتباعدين..

على أن الاختلاف والتعدد بين العاملين لا يضر إذا كان اختلاف تنوع لا اختلاف تناقض، وكان التعدد تعدد تخصص لا تعدد صراع.

٢٨ ـ الدعوة إلى فقه جديد

تأكيد الدعوة إلى تجديد «الفقه القرآنى والنبوى» ﴿**قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**﴾ (الأنعام: ٩٨)، «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين»[١]، وهو يضم عدة ألوان من الفقه المنشود: فقه سنن الكون، وفقه مقاصد الشرع، وفقه المآلات، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه الاختلاف أو الائتلاف، والفقه الحضارى، وفقه التغيير، وفقه الواقع.

والواجب على علماء العصر: أن يحيطوا علما ـ كلٌّ على قدر سعة واديه ـ بهذه الأنواع من الفقه، حتى إذا دَعَوْا: دَعَوْا على بصيرة، وإذا أَفْتَوا: أَفْتَوا ببينة، وإذا علّموا: علّموا على نور، وإذا قضوا: قضوا عن علم.

٢٩ ـ منجزات أمتنا الحضارية

الإشادة بما قدمته أمتنا من منجزات تاريخية بهرت العالم، ومن فتوحات فى زمن قياسى، كانت تحريرا للشعوب من مستعبديها، ولم تكن يوما لإذلالها أو

(١) رواه البخارى فى الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣١٢)، ومسلم فى الزكاة (١٠٣٧)، وأحمد فى المسند (١٦٨٣٤)، (١٦٨٤٢)، وابن ماجه فى افتتاح الكتاب (٢٢١)، والطبرانى فى الكبير (١٩/ ٣٢١) عن معاوية.

استغلالها. والتنويه بما أسسته أمتنا من حضارة جمعت بين العلم والإيمان، وبين الربانية والإنسانية، وبين الرقى المادى والسمو الأخلاقى، وقد شارك فى صنع هذه الحضارة أناس من أديان وأعراق وأوطان مختلفة، لم تضق الحضارة الإسلامية بهم ذرعا، وظلت هذه الحضارة أكثر من ثمانية قرون تعلم العالم، وتنشر النور، ومنها اقتبست أوربا المنهج التجريبى الاستقرائى، وتعلمت من ابن رشد وغيره.

ولا ندعى أن تاريخنا معصوم من الأخطاء، ولكنه أقل تواريخ الأمم مثالب، كما لا نقبل أن يشوه تاريخنا، وخصوصا خير القرون فيه، التى أثنى عليها رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. وواجب الأمة أن تصل هذا الماضى المجيد بحاضر يكافئه، إن لم يزد عليه، ولا يكتفى بالتغنى بأمجاده، والبكاء على مآسيه. بل واجبنا هو استلهام الماضى، والارتقاء بالحاضر واستشراف المستقبل.

٣٠ـ الانتفاع بخير ما فى تراثنا على تنوعه

الانتفاع بأفضل ما فى تراثنا الرحب المتنوع: من ضبط الفقهاء، وتأصيل الأصوليين، وحفظ المحدثين، وعقلانية المتكلمين، وروحانية المتصوفين، ورواية المؤرخين، ورقة الأدباء والشعراء، وتأمل الحكماء، وتجارب العلماء، مع العلم بأن هذا التراث كله ـ حتى ما له صلة بالدين ومصادره ـ من صنع العقل الإسلامى، وهو بالطبع غير معصوم، فهو قابل للنقد والمراجعة والمناقشة والترجيح أو التضعيف. ولكن الأمة فى مجموعها لا تجتمع على ضلالة. ويجب النظر إلى التراث فى ضوء قواطع الوحى الإلهى، وقواطع العلم البشرى.

كما يجب العمل على إحياء هذا التراث وخدمته بأساليب العصر وآلياته، حتى يستطيع أن يقوم بوظيفته فى رقى الأمة، وقيامها برسالتها الخالدة.

مختصر معالم الوسطية

١ ـ الفهم الشمولى التكاملى للإسلام، بوصفه : عقيدة وشريعة، علما وعملا، عبادة ومعاملة، ثقافة وأخلاقا، حقا وقوة، دعوة ودولة، دينا ودنيا، حضارة وأمة.

٢ ـ الإيمان بمرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، للتشريع والتوجيه للحياة الإسلامية، مع ضرورة فهم النصوص الجزئية فى ضوء المقاصد الكلية.

٣ ـ ترسيخ المعانى والقيم الربانية، والتركيز على عبادة الله تعالى بوصفها الغاية التى خلق لها الإنسان، وهى تتجلى فى الشعائر الأربع الكبرى، وما يليها من ذكر الله والدعاء والاستغفار. . هذا بالإضافة إلى العبادات الباطنية : من صدق النية والإخلاص لله، والخشية له. . وغيرها، وهى أساس التصوف الحقيقى الذى يقوم على «الصدق مع الحق، والخُلُق مع الخَلق».

٤ ـ فهم التكاليف والأعمال فهما متوازنا، يضعها فى مراتبها الشرعية، وينزل كل تكليف منزلته وفق ما جاءت به النصوص. فلا يتقدم ما حقه التأخر، ولا يتأخر ما حقه التقدم، وهو ما أطلقنا عليه اسم «فقه الأولويات».

٥ ـ تأكيد الدعوة إلى تجديد «الفقه القرآنى والنبوى» وهو يضم عدة ألوان من الفقه المنشود : فقه سنن الكون، وفقه مقاصد الشرع، وفقه المآلات، وفقه الموازنات، وفقه الاختلاف، والفقه الحضارى، وفقه التغيير، وفقه الواقع. إلى جانب «فقه الأولويات».

٦ ـ التركيز على القيم الأخلاقية التى عنى بها الإسلام، سواء كانت أخلاقا فردية أم اجتماعية، ورفض موقف الذين يعتبرون العبادات الشعائرية هى كل شىء، وموقف الذين يعتبرون الأخلاق كل شىء.

٧ ـ تجديد الدين من داخله، وإحياء مبدأ الاجتهاد الذى لا تحيا الشريعة إلا به، على أن يكون الاجتهاد من أهله وفى محله.

٨ ـ الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر. مع ضرورة مراعاة الثبات فى الأهداف والغايات وفى الأصول والكليات، والمرونة والتطور فى الوسائل والآليات وفى الفروع والجزئيات.

٩ ـ تبنى منهج التيسير والتخفيف فى الفقه والفتوى، وإن كان ولا بد من التشديد، فليكن فى الأصول لا فى الفروع. والتيسير المطلوب هنا: لا يعنى تبرير الواقع، أو مجاراة الغرب، أو إرضاء الحكام.

١٠ ـ تطوير مناهج الدعوة إلى الإسلام: للمسلمين: تفقيها للتعاليم، وتصحيحا للمفاهيم، وتثبيتا وتذكيرا للمؤمنين وبيانا لحقائق الإسلام، وردا على أباطيل خصومه.. ولغير المسلمين، باعتبار دعوة الإسلام دعوة عالمية، مع تبنى منهج التبشير فى الدعوة، ليتكامل مع التيسير فى الفتوى.

١١ ـ التدرج الحكيم: فى الدعوة والتعليم والإفتاء والتغيير، وعدم استعجال الشىء قبل أوانه، والثمرة قبل نضجها. والتدرج سنة كونية، كما هو سنة شرعية.

١٢ ـ تأكيد الدعوة إلى المزج بين الروحانية والمادية، بين الربانية والإنسانية، بين العقل والوجدان، بحيث يأخذ كل جانب منها حقه، دون طغيان على الجانب الآخر. ومن هنا تتكامل العناية بالعبادة والثقافة والرياضة والفنون، فالعبادة تغذى الروح، والثقافة تغذى العقل، والرياضة تغذى الجسم، والفن يغذى الوجدان.

١٣ ـ الدعوة إلى السلام مع كل من بسط يده للسلام، مع التمسك بفرضية الجهاد في سبيل الله للدفاع عن حرمة الدين والمقدسات، وعن المستضعفين في الأرض، والوقوف في وجه الفراعنة والمستكبرين في الأرض. مع ضرورة بيان أنواع الجهاد: النفسي والدعوي والمدني وغيرها.

١٤ ـ توعية الأمة بأن الجهاد مفروض عليها فرض عين لتحرير أرضها من كل سلطان أجنبي مسلط عليها. وأول أرض يجب تحريرها هي أرض فلسطين.

١٥ ـ الاعتراف بحقوق الأقليات الدينية ومعاملتهم بما أوجبه لهم الإسلام من تركهم وما يدينون، والتأكيد على أنهم من «أهل دار الإسلام» ومقتضى هذا: أنهم بلغة عصرنا «مواطنون» لهم ما لنا وعليهم ما عليهم، إلا ما اقتضاه التميز الديني.

١٦ ـ احترام العقل والتفكير، والدعوة إلى النظر والتدبر: في آيات الله الكونية والتنزيلية، وتكوين العقلية العلمية، ومقاومة الجمود والتقليد الأعمى للآباء أو للسادة والكبراء، أو لعامة الناس. ونفي التعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح.

١٧ ـ الدعوة إلى المبادئ والقيم الإنسانية والاجتماعية، مثل: العدل والشورى والحرية والكرامة، وحقوق الإنسان.

١٨ ـ توكيد ما جاء به الإسلام من إعطاء المرأة حقوقها ومكانتها وكرامتها، وتحريرها من رواسب عصور التخلف والتراجع الإسلامي، ومن غوائل الغزو الحضاري الغربي الذي أخرج المرأة من فطرتها، ولم يراع أنوثتها.

١٩ ـ العناية بأمر الأسرة، باعتبارها الدعامة الأولى لقيام المجتمع الصالح، ورعاية حقوق كل من الزوجين على صاحبه، وعدم اللجوء إلى الطلاق إلا إذا تعذر الوفاق، وشرعية تعدد الزوجات بقيوده وشروطه، دون توسع ولا تحريم.

٢٠ ـ احترام حق الشعوب في اختيار حكامها من الأقوياء الأمناء، دون تزييف لإرادتها، أو فرض حاكم عليها يقودها على رغم أنوفها، ولها أن تسائله وتحاسبه، وتعزله إذا تمادى في غيه بالطرق السلمية.

٢١ ـ تقوية اقتصاد الأمة، والعمل على تكاملها فيما بينها، حتى تكتفى اكتفاء ذاتيا، وبناء هذا الاقتصاد على فقه الشريعة ومقاصدها، والتخطيط العلمى والسعى العملى لتأسيس اقتصاد إسلامى متميز عن الاقتصاد الرأسمالى والاقتصاد الشيوعى.

٢٢ ـ الإيمان بوجود الأمة الإسلامية وخلودها، والإيمان بفرضية وحدتها، وبالأخوة الدينية بين أبنائها، على اختلاف مدارسها ومذاهبها، واعتبار الفرق المختلفة كلها من الأمة الواحدة، ما دامت تصلى إلى القبلة، وتؤمن بالقرآن الكريم، وبالسنة المشرفة.

٢٣ ـ تحسين الظن بكل من شهد الشهادتين، وصلى إلى القبلة، ولم يصدر منه ما يخالفها بيقين، والأصل حمل حال المسلم على الصلاح ما أمكن ذلك، وتجنب التفسيق والتكفير ما وُجِد إلى التجنب سبيل، ولا سيما ما كان سببه التأويل.

٢٤ ـ العناية بالأقليات الإسلامية فى العالم، باعتبارها جزءا من الأمة المسلمة، وعلى الأمة أن تعينهم على أن يعيشوا بإسلامهم فى مجتمعاتهم، عناصر حية فاعلة، وإن يكن لهم فقههم الخاص، وأن يكون شعارها: استقامة على الدين بلا انغلاق، واندماج فى المجتمع بلا ذوبان.

٢٥ ـ الإيمان بالتعددية الدينية والعرقية واللغوية والثقافية والسياسية، وضرورة التعايش بين الحضارات، والتلاقح بين الثقافات، وتفاعل بعضها مع بعض، واقتباس بعضها من بعض، دون انكماش ولا استعلاء.

٢٦ ـ العناية بعمارة الأرض، وتحقيق التنمية المتكاملة، مادية وبشرية، ورعاية البيئة بكل مكوناتها، والتعاون على كل ما ييسر المعيشة للناس، وكل ما يشيع الجمال فى الحياة، واعتبار ذلك عبادة وجهادا فى سبيل الله.

٢٧ ـ حث دعاة الإصلاح والتغيير على مقاومة التخلف والفساد، فالتخلف يعطل عقل الأمة، والفساد يعطل ضميرها. ولا يكون الإصلاح حقيقيا إلا إذا تم

بإرادتنا وبأيدينا ، لا أن يُفْرَض علينا ، ومدخل كل إصلاح هو إصلاح الأنظمة السياسية المستبدة ، وأساس كل تغيير هو تغيير الإنسان من داخله .

٢٨ ـ العمل على تجميع كل القوى العاملة لنصرة الإسلام فى صف واحد ، وليس من الضرورى ـ بل لعله ليس من المفيد ـ أن يجتمعوا فى جماعة أو حركة واحدة . على أن الاختلاف والتعدد بين العاملين لا يضر إذا كان اختلاف تنوع وتخصص لا اختلاف صراع وتناقض .

٢٩ ـ الإشادة بما قدمته أمتنا من منجزات تاريخية بهرت العالم ، ومن فتوحات فى زمن قياسى ، كانت تحريرا للشعوب من مستعبديها ، والتنويه بما أسسته أمتنا من حضارة جمعت بين العلم والإيمان . وعدم الاكتفاء بالتغنى بأمجاده ، والبكاء على مآسيه . بل واجبنا هو استلهام الماضى ، والارتقاء بالحاضر واستشراف المستقبل .

٣٠ ـ الانتفاع بأفضل ما فى تراثنا الرحب المتنوع : من ضبط الفقهاء ، وتأصيل الأصوليين ، وحفظ المحدثين ، وعقلانية المتكلمين ، وروحانية المتصوفين ، ورواية المؤرخين ، ورقة الأدباء والشعراء ، وتأمل الحكماء ، وتجارب العلماء ، مع العلم بأن هذا التراث كله غير معصوم ، فهو قابل للنقد والمراجعة والمناقشة والترجيح أو التضعيف . ولكن الأمة فى مجموعها لا تجتمع على ضلالة .



كلمات فى
الوسطية الإسلامية
ومعالمها

يقدم هذا الكتاب عملا لرائد الوسطية فى هذا العصر: الإمام العلامة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى الذى نذر ـ وما زال ـ للوسطية نفسه وعمره، وأعطاها فكره ووجدانه، ودعا إليها بلسانه وقلمه، وخطبه وكتبه، وجهاده واجتهاده؛ دوما وأبدا.

ففى هذا الكتاب يُعرِّف المؤلف المنهج الوسطى لأمته، ويوضح صورته وملامحه، ويحدد أركانه ومقوماته، ويجلي ملامحه وخصائصه.



دار الشروق
www.shorouk.com